الفصل الأول

النبي محمد ﷺ كما جاء في مصادر أهل الكتاب.

تمهيد:

من المهم جدا أن نتناول نبي الإسلام محمد ﷺ من خلال ما جاء في مصادر أهل الكتاب أنفسهم، ونقصد هنا بمصادرهم التوراة والإنجيل، ذلك أن النصارى يؤمنون بأن العهد الجديد المعروف بالإنجيل مكمل للعهد القديم المعروف بالتوراة، وفي مصادرهم بشارات بنبي الإسلام محمد ﷺ يقتضي البحث العلمي تتبعها، ولذلك خُصِّصَ في هذا السياق مبحثان، الأول يتناول النبي محمد ﷺ كما جاء في التوراة، بَدْءًا بكونه من ذرية إسماعيل، ومرورا بتأصيل مسألة الذبيح، وهل يمكن الاصطفاء من غير بني إسرائيل، وبشارة موسى عليه السلام بظهور نبي مثله، وتنبؤه بالبركة الموعودة في أرض فاران[٢]. وانتهاء ببشارة داود عليه السلام بنبي من غير ذريته. ويتناول المبحث الثاني النبي محمد ﷺ كما جاء في الإنجيل بَدْءًا ببشارة المسيح بالبارقليط[٣]. وأن عيسى عليه السلام لم يدَّع أنه المسيح المنتظر، بل بَشَّرَ العالم بمشتهى الأمم (محماد أو أحمد). وانتهاء بالبشارة بإيليا على النحو الآتي:

٢- فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة، ذكرت في التوراة. قيل: اسم لجبال مكة أو جبال الحجاز. الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت٦٢٣هـ). ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. معجم البلدان. تح: فريد عبد العزيز الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. ٤/٢٢٥.

٣- البارقليط: هو الحكيم الذي يعرف السر، ومن أسمائه المتوكل، والمختار، ومقيم السنة، والمقدس، وروح الحق؛ وهو الذي يفرق بين الحق والباطل. ومن أسمائه أيضا: الحامد أو الحماد ومحمد وأحمد والمحمود، وأكثر النصارى على أن معناه المخلص. عياض، القاضي أبو الفضل بن موسي اليحصبي (ت٥٤٤هـ). ١٩٨٨م. الشفا بتعريف حقوق المصطفى- مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء. بيروت: دار الفكر. ج١. ص٢٣٤. والنويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٢هـ). ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. نهاية الأرب في فنون الأدب. تح: مفيد قمحية وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. ج١٦. ص٥٥-٧٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المبحث الأول

النبي محمد ﷺ كما جاء في العهد القديم (التوراة).

المطلب الأول: محمد من ذرية إسماعيل المباركة.

جاء في سفر التكوين أن إبراهيم تزوج من (سارة)[٤] وكانت عاقراً، ثم خرج مع عائلته من أرض الكلدانيين بالعراق إلى أرض الكنعانيين بفلسطين، وكان عمره حوالي خمس وسبعين سنة[٥]. وبعد وصولهم أرض فلسطين حدث جوع في الأرض، فارتحلوا إلى مصر، فحدث أن أُعجب المصريون بجمال سارة فمدحوها لفرعون، فأراد أن يجعلها زوجة له؛ لولا أن رأى رؤيا تمنعه من ذلك، فدعا إبراهيم لمقابلته، وأحسن إليه، وأوصى به خيراً وأهدى له هاجر[٦]. ولما رجع إبراهيم إلى فلسطين، وبعد أن مكث فيها عشر سنين أشارت عليه سارة بالزواج من (هاجر) لعل الله يرزقهم منها ولداً[٧] فدخل بها فحملت بإسماعيل[٨].

ثم تذكر التوراة أن سارة عندما لاحظت حمل هاجر ندمت، فأذلتها، فهربت هاجر إلى البرية فأتاها الملاك (جبريل) وأمرها بالرجوع إلى بيتها، وبشرها بأنها حامل بإسماعيل؛ لأن الرب سمع لمذلتها فرجعت، ثم وضعت ولدها إسماعيل، وكان للخليل حينئذ

٤- سفر التكوين: ١١/٢٩. وكذا ١٧/١٥.

٥- سفر التكوين: ١١/٢٧-٣٢.

٦- سفر التكوين: ١٢/١-٢٠.

٧- سفر التكوين: ١١/٣٠. وسفر التكوين: ١٦/١-٤.

٨- سفر التكوين: ١٦/١-٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ست وثمانون سنة[٩]. تقول التوراة: «فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا. وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ، فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ؛ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ»[١٠].

وولدت هاجر إسماعيل، فكان بكراً لإبراهيم، تقول التوراة: «فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ: إِسْمَاعِيلَ. كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ»[١١]. وبعد مولده غارت سارة، فَطَلَبتْ من إِبْرَاهِيمَ طردهما بعيدا: «فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ هاجر وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَهَا طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ شجرة وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ فَنَادَاها مَلاَكُ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَسَقَتِ الْغُلاَمَ ثم سَكَنَا فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»[١٢].

٩- سفر التكوين: ١٦/٥-١٦.

١٠- سفر التكوين: ١٦/ ٩-١٢.

١١- سفر التكوين: ١٦/١٥-١٦.

١٢- سفر التكوين: ٢١/٩-٢٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وإسماعيل كلمة عبرية مركبة من (سمع) ومن (إيل) أي: الله يسمع[١٣]. أو سمع الله أي إجابة الله دعاء أمه هاجر، إذ خرجت حاملاً بإسماعيل مفارقة الموضع الذي فيه سارة ولم يكن لسارة أبناء يومئذ[١٤]. ويرى بعض العلماء أن ما ورد في النص من قول التوراة: «يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ» بشارة بنبوة محمد ﷺ. ذلك أنه لم يكن في ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ تنطبق عليه هذه البشارة لأنهم كانوا قبله مقهورين، فصاروا به قاهرين[١٥].

وجاء في سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام طلب الصلاح في ابنه إسماعيل فاستجاب الله له وبشره بالبركة في إسماعيل، وفي ابن آخر يهبه الله له اسمه إسحاق من زوجه سارة تقول التوراة: «وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ. فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ. فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

١٣- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٩٧٣م). ١٩٩٧م. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون. الطبعة التونسية. ج١، ص٤٥٠.
وطنطاوي، محمد سيد (ت٢٠١٠م). ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. بنو إسرائيل في القرآن والسنة. دار الشروق. ط٢. ص١١-١٢.

١٤- ابن عاشور. التحرير والتنوير. المصدر السابق. ٧٠٧/١.

١٥- الماوردي، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ). ١٩٨٧م. أعلام النبوة. تح: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي. ط١. ١٧١/١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً»[١٦].

ويذكر سفر التكوين أن الله ابتلى إبراهيم فأمره بذبح ابنه الوحيد يوم ذاك إسحاق فاستجاب وابنه وامتثلا لأمر الله: «إِنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ. فَقَالَ: هأَنَذَا. فَقَالَ: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَأَصْعِدْهُ، هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ. فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: اجْلِسَا أَنْتُمَا هاهنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا. فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. فَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: يَا أَبِي. فَقَالَ: هأَنَذَا يَا ابْنِي. فَقَالَ: هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا.

فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: إِبْرَاهِيمُ إِبْرَاهِيمُ. فَقَالَ: هأَنَذَا فَقَالَ: لاَ

١٦- سفر التكوين: ١٧/١٥-٢٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي. فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ. فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ "يَهْوَهْ يِرْأَهْ". حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: "فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى".

وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»[١٧].

لكن القرآن الكريم يشير إلى أن الذبيح هو إسماعيل، وليس إسحاق من خلال ذكر بشارتين في الآيات الواردة في سورة الصافات؛ الأولى بغلام حليم هو إسماعيل والأخرى بإسحاق، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا

١٧- سفر التكوين. ٢٢/١-١٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٨]. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[١٩]. فإبراهيم رزق بإسماعيل أولا، ثم بإسحاق ثانيا، وهو ما يتفق مع ما ورد في التوراة الأمر الذي يعني أن إسماعيل هو وحيد إبراهيم الذي ابتلي بذبحه قبل أن يزرق بإسحاق أصلا. ويقول السقا[٢٠] حول النص الوارد في سورة الصافات: إن الله امتحن إيمان إبراهيم ليرى العالم السبب الذي من أجله أحب إبراهيم واصطفى ذريته على العالمين، فأمره بذبح ابنه الوحيد الذي هو إسماعيل، لا إسحاق لأنه مولود قبل أخيه بأربعة عشر عاماً –كما تصرح التوراة– فكيف يكون إسحاق وحيداً وقبله وَلَدٌ ما يزال على قيد الحياة؟ وهو عين الصواب لكون محمد ﷺ ابن الذبيحين.

ويمكن القول بأن تعمد وضع اسم إسحاق في التوراة بجانب: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ» تحريف من كاتب التوراة لكي يُلبِّس الحق بالباطل، وما يؤكد هذه الحقيقة طلب إبراهيم من ربه الصلاح في ابنه إسماعيل في قوله: «وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ»[٢١]. فاستجاب الله له، وبشره بالبركة فيه، وفي ابن آخر يهبه الله له اسمه: إسحاق من زوجه سارة، وهذا الذي تذكره التوراة يتفق إلى حد كبير مع ما جاء في القرآن فالقرآن يقرر بركة وعهداً لإبراهيم في صالحي ذريته من ابنيه المباركين إسماعيل وإسحاق

١٨- سورة الصافات٣٧. الآيات ١٠١-١١٢.

١٩- سورة إبراهيم ١٤. الآية ٣٩.

٢٠- السقا، أحمد حجازي. ١٩٧٧م. البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل. القاهرة: دار البيان العربي. ص٩٣.

٢١- سفر التكوين: ١٨/١٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

حيث يقول: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢٢].

وذكر الله بركة الابنين معاً، وأن من ذريتهما صالحاً مستحقاً للعهد، وظالماً ليس له من العهد شيء؛ فقد نصت التوراة على أن العهد والاصطفاء مشروطان بالعمل الصالح والبركة التي أُعطيها إبراهيم إنما هي بسبب عمله الصالح: «وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي»[٢٣]. ويتفق هذا مع ما جاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[٢٤]. وكما قال عن إبراهيم، وعن ذريته المباركة: «وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ؛ لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً؛ لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ»[٢٥]، فالعمل بوصايا الله سبب هذه البركة، وقد قال الله لإبراهيم: «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»[٢٦].

٢٢- سورة البقرة ٢. الآية ١٢٤.

٢٣- سفر التكوين ٢٦/٤-٥.

٢٤- سورة الصافات ٣٧. الآية ١١٣.

٢٥- سفر التكوين ١٨/١٨-١٩.

٢٦- سفر التكوين ٢٢/١٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فبركة الله إنما تكون للصالحين، ولعنته تصيب الكافرين، كما قال الله لموسى عليه السلام: «اُنْظُرْ. أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً: الْبَرَكَةُ إِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا»[٢٧]. وبهذا، فالبركة مشروطة بطاعة الله، والاستقامة على دينه، فإذا ما نكّل بنو إسرائيل عنها حاقت عليهم اللعنة والبوار. وإذا كان الأمر كذلك، فما البركة التي جعلها الله في إسماعيل وإسحاق؟

هي بلا شك بركة النبوة والكتاب والملك بأمر الله والظهور باسمه، وبالفعل بدأت بركة إبراهيم في العرب بابنه الأول إسماعيل، قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٩].

أما بركته في بني إسرائيل فقد بدأت بابنه الثاني إسحاق المسمى: إسرائيل، وبنو إسرائيل هم ذريته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم

٢٧- سفر التثنية: ١١/٢٦-٢٨.

٢٨- سورة البقرة ٢. الآية ١٢٥.

٢٩- سورة البقرة ٢. الآيات ١٢٧-١٢٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٠]. لكن اليهود والنصارى من بعدهم يعتقدون أن البركة محصورة في إسحاق، وفي بني إسرائيل من بعده، وحرمان إسماعيل من نصيبه من البركة، معتمين أن الوعد في إسحاق وعد أبدي لن ينتقل إلى غيره، ودليلهم في ذلك فهمهم الخاطئ لما ورد في التوراة من قول الرب: «فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ»[٣١].

فاليهود والنصارى يعتقدون أن هذا الوعد يستلزم أن يستمر العهد لبني إسرائيل إلى يوم القيامة لأنهم فهموا خطأ من قوله: (عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ) عدم خروج الملك منهم، حتى ولو تنكروا للشريعة أو بدلوها، ومما يؤكد خطأ فهمهم هذا استبدال الله البركة باللعن والطرد، عندما ذلهم الله واستبدلهم بغيرهم بعد أن تنكروا لشرعه ودينه في قوله في التوراة: «وَالآنَ إِلَيْكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةُ أَيُّهَا الْكَهَنَةُ: إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَسْمَعُونَ وَلاَ تَجْعَلُونَ فِي الْقَلْبِ لِتُعْطُوا مَجْدًا لاسْمِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَإِنِّي أُرْسِلُ عَلَيْكُمُ اللَّعْنَ، وَأَلْعَنُ بَرَكَاتِكُمْ، بَلْ قَدْ لَعَنْتُهَا لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَاعِلِينَ فِي الْقَلْبِ. هأَنَذَا أَنْتَهِرُ لَكُمُ الزَّرْعَ، وَأَمُدُّ الْفَرْثَ عَلَى وُجُوهِكُمْ»[٣٢].

٣٠- سورة الجاثية ٤٥. الآية ١٦.

٣١- سفر التكوين. ١٧/١٩-٢١.

٣٢- سفر ملاخي. ٢/١-٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ويتفق هذا مع ما جاء في القرآن الكريم، من أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٣٣].

وبهذا فإن ما ورد في التوراة من أن (عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ) لا يعني بالضرورة الاستمرار إلى يوم القيامة، بل يعني طول الفترة فحسب، ومثل هذا الاستخدام معهود في التوراة ففي سفر الأيام: «وَقَالَ لِي: إِنَّ سُلَيْمَانَ ابْنَكَ هُوَ يَبْنِي بَيْتِي وَدِيَارِي؛ لأَنِّي اخْتَرْتُهُ لِي ابْنًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا، وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ إِلَى الأَبَدِ إِذَا تَشَدَّدَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ وَصَايَايَ وَأَحْكَامِي كَهذَا الْيَوْمِ»[٣٤]، فالمراد بالأبدية الوقت الطويل.

وإذا كان اليهود والنصارى يتفقون في أن بركة إسحاق أثمرت النبوة والملك والكتاب والكثرة والغلبة، ولا خلاف عندنا نحن -المسلمين- في ذلك. إنما خلافنا معهم فيما يراه أهل الكتاب من أن وعد إسماعيل وبركته أثمر الكثرة فقط من خلال ما ورد في التوراة حيث جاء فيها ما نصه: «وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً»[٣٥].

فحصر بركة إسماعيل في كثر النسل فقط غير مُسَلَّمٍ به؛ لأن بركته يجب أن تكون كبركة إسحاق: نبوة وكتابا وحكما وكثرة؛ والواقع يشهد على ذلك؛ فمنذ أن بعث الله نبيه محمدا ﷺ تحولت قبائل بني إسماعيل (العرب) المتفرقة الضعيفة إلى مُلْكٍ عظيم ساد

٣٣- سورة الأنبياء ٢١. الآية ١٠٥.

٣٤- سفر الأيام ٢٨/١/٦.

٣٥- سفر التكوين ٢٠/١٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الدنيا واجتمع إلى كثرتهم النبوة والكتاب، فتحقق ما وعد الله تعالى به إبراهيم وهاجر في ابنهما إسماعيل، وإلا فأين تحققت البركة في إسماعيل الذي أخبر النص التوراتي عن حاله فقال: «وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ»[٣٦]. أي أنه يغلب تارة فيسود الجميع، كما يسود الجميع عليه تارة أخرى.

ويذكر أحمد السقا أن بعض علماء بني إسرائيل يرون أن اسم محمد ﷺ في التوراة قد ورد في سياق بركة إسماعيل بحساب (الجُمَلِ)، الوارد في النص الآتي: «وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا (بماد ماد). اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً (لجوى جدول)»[٣٧]. فكلمتا: «كَثِيرًا جِدًّا» تعنيان: (بماد ماد). وكلمتا: «أُمَّةً كَبِيرَةً» تعنيان: (لجوى جدول) في اللغة العبرية تساويان اسم النبي محمد ﷺ؛ فكلمة: (بماد ماد) بحساب الجمل الذي يهتم به اليهود، ويرمزون به في كتبهم ونبوءاتهم تساوي (٩٢) ومثله كلمة: (لجوى جدول) وهو ما يساوي كلمة: (محمد)[٣٨].

يقول القرطبي: "وقد تفطن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود، وقرأ بعض كتبهم فقال: في التوراة موضعان يخرج منهما اسم محمد بالعدد على ما تستعمله اليهود فيما بينهم. فأما الأول فقوله: (جداً جداً) فهو بتلك اللغة (بماد ماد) وعدد هذه الحروف:

٣٦- سفر التكوين ١٢/١٦.

٣٧- سفر التكوين ٢٠/١٧.

٣٨- يجعل اليهود لكل حرف من الحروف مقابلاً من الأرقام، فالألف =١، والباء=٢ ...وهكذا حسب الترتيب الأبجدي، ويعطى الحرف الحادي عشر (ك) الرقم٢٠، و(ل) =٣٠ .. فيما يعطى الحرف التاسع عشر (ف) الرقم ١٠٠، ثم (ص) =٢٠٠.. وهكذا. ولمن أراد الزيادة في هذا الموضوع أن يرجع إلى أحمد السقا. البشارة بنبي الإسلام. مصدر سبق ذكره. ج١. ص١٣١- ١٣٩ وقد فصل فيه كثيراً.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

اثنان وتسعون؛ لأن الباء: عندهم اثنان والميم: أربعون، والألف: واحد، و الدال: أربعة والميم الثانية: أربعون والألف: واحد والدال: أربعون وكذلك الميم من محمد: أربعون والحاء: ثمانية، والميم: أربعون والدال أربعة. وأما الثاني فقوله: «لَشَعبٌ عظيمٌ» فهو بتلك اللغة: (لغوي غدول). فاللام عندهم: ثلاثون والغين ثلاثة، وهي عندهم مقام الجيم والواو: ستة والياء: عشرة، والغين أيضاً: ثلاثة، والدال: أربعة، والواو: ستة، واللام: ثلاثون، فمجموع هذه أيضاً اثنان وتسعون، وهذا من رشيق الفهم وملح البحث وغرائب العلم"[٣٩].

وهذا يتأكد أن ما جاء في سفر التكوين من وجود بركة في العرب تمثلت بنبوة وملك يقيمهم الله في العرب هو النقطة الأساس التي يخالفنا فيها أهل الكتاب، وهي المدخل الأهم لنبوءات الكتاب المقدس؛ إذ أن كثيراً مما يذكره المسلمون من نصوص توراتية يرونها نبوءات بالرسول، بينما يراها النصارى نبوءات أيضاً؛ لكنها تخص المسيح، ويمنعون أن تخرج هذه النبوءات عن بني إسرائيل.

المطلب الثاني: تأصيل مسألة الذبيح:

يختلف المسلمون وأهل الكتاب في مسألة الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ وأين هي الأرض المباركة؟ فقد جاء في التوراة تناقض فيما يخص الذبيح؛ فمن ناحية تصرح التوراة بأن إسماعيل وُلِدَ أَوَّلا لإبراهيم قبل إسحاق، وفي الوقت نفسه تصرح بأن الذبيح ابنه

٣٩- القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ). ١٣٩٨هـ. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام. تح: أحمد السقا. القاهرة: دار التراث العربي. ص٢٦٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الوحيد إسحاق، وهذا التناقض بين نصوص التوراة ليس من عند الله بكل تأكيد، بل من كاتب التوراة بعد وفاة موسى عليه السلام.

ويؤكد القرآن القصة مع اختلافات قليلة، ترجح تحريف ما ورد في التوراة؛ ذلك أن القرآن يذكر انتقال إبراهيم بهاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام إلى وادٍ غير ذي زرع عند موقع البيت الحرام –وهي مكة– بسبب أمر الله تعالى له، وكان إسماعيل عليه السلام إذ ذاك رضيعاً فلما تركه وأُمَّه هناك، وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه، وقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتدعنا هاهنا وليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها. فلما ألحت عليه –وهو لا يجيبها– قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: فإذاً لا يضيعنا[٤٠]. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٤١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٤٢].

ثم يذكر القرآن ما حصل لإبراهيم من البلاء بذبح ابنه إسماعيل، ثم البشارة بعد ذلك بإسحاق. قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ

٤٠– ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت٧٧٤هـ). ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. البداية والنهاية. تحقيق: علي شيري. دار إحياء التراث العربي. ط١. ج١. ص٣٥٦.

٤١– سورة إبراهيم ١٤. الآية ٣٧.

٤٢– سورة البقرة ٢. الآية ١٢٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[٤٣].

فقد جاء في القرآن ما يؤكد قصة الذبح، غير أن الذبيح إسماعيل، وليس إسحاق والدليل على ذلك أن إبراهيم بُشِّرَ في هذه الآيات في سور الصافات ببشارتين:

البشارة الأولى: بغلام حليم، هو الذبيح. ثم البشارة الثانية بإسحاق؛ الأمر الذي يدل على أن الذبيح إسماعيل بكل تأكيد، وليس إسحاق الذي ولد لإبراهيم بعد إسماعيل كما تؤكد التوراة نفسها[٤٤]. وبهذا يتفق ما ورد في القرآن الكريم مع ما جاء في التوراة من أن سارة كانت عاقرا[٤٥] ثم بشرها الله بإسحاق -وهي عجوز- ففرحت بذلك، ثم حملت من زوجها إبراهيم الشيخ الكبير، فولدت إسحاق بعد إسماعيل بثلاث عشرة سنة، فحمد إبراهيمُ ربه، وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد ما ورد في التوراة من هذه البشرى بإسحاق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ

٤٣- سورة الصافات ٣٧. الآيات ١٠١- ١١٣.

٤٤- سفر التكوين ١٧/١٧.

٤٥- سفر التكوين ٣٠/١١. وسفر التكوين ١/١٦-٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٤٦] وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾[٤٧] وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٤٨].

وما يؤكد تحريف ما جاء في التوراة اختلافها عما ورد في القرآن في قصة أكل الملائكة من الطعام واللحم المشوي الذي قدمه إليهم إبراهيم عليه السلام فبينما يذكر القرآن أنهم لم يأكلوا منه؛ باعتبارهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون، تذكر التوراة أنهم أكلوا: «فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ، ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ، ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا»[٤٩]. وبهذا يتضح بيان التحريف، ومحاولة طمس عدة بشارات على النحو الآتي:

٤٦- سورة هود ١١. الآيات ٦٩-٧٢.

٤٧- سورة إبراهيم ١٤. الآية ٣٩.

٤٨- سورة الداريات ٥١. الآيات ٢٤-٣٠.

٤٩- سفر التكوين ١٨/٧-٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

- إدراج اسم إسحاق الذي لم يكن وحيداً لإبراهيم قط، وقد تكرر في النص المذكور أعلاه وصف الذبيح بالوحيد ثلاث مرات، وقد رأينا أن إسماعيل كان وحيداً لإبراهيم أربع عشرة سنة.

- البكورية لإسماعيل محفوظة، وإن كان ابن هاجر التي اتخذها زوجة فيما بعد فمنزلة الأم لا تؤثر في بكورية الابن ولا منزلته، وقد جاء في التوراة: «إِذَا كَانَ لِرَجُل امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ، الْمَحْبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الابْنُ الْبِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ، فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ، لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ، بَلْ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ»[٥٠].

يقول ابن القيم في هذا الصدد: (وإسماعيل: هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هذا القول إنما هو مُتَلَقًّى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم فإن فيه: إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيده، ولا يَشُك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده. والذي غرَّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم؛ لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني

٥٠- سفر التثنية ٢١/١٥-١٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم ويجتازوه لأنفسهم دون العرب ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله، وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب؛ فقال تعالى عن الملائكة: إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾[٥١] فمحالٌ أن يبشرها بأنه يكون لها ولد، ثم يأمر بذبحه. ولا ريب أن يعقوب داخل في البشارة، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد وهذا ظاهر الكلام وسياقه)[٥٢].

وقد حكى البغوي[٥٣] القول عن عمر، وعلي، وابن مسعود، والعباس ﷺ ومن التابعين عن كعب الأحبار، وسعيدِ بنِ جبيرٍ، وقَتَادَةَ، ومسروقٍ، وعِكْرِمَةَ، وعَطاءٍ، ومقاتلٍ والزُّهْرِيِّ والسُّدِّيِّ بأنه إسحاق. قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ﷺ، وقد ورد في ذلك حديث، لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده، قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن حباب، عن الحسن ابن دينار، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: هو إسحاق. ففي إسناده ضعيفان وهما: الحسن بن دينار البصري

٥١- سورة هود ١١. الآيتان ٧٠-٧١.

٥٢- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ). ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة والكويت: مكتبة المنار الإسلامية. ط٢٧. ج١. ص٧٢.

٥٣- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت٥١٠هـ)، هو إمام وحافظ وفقيه، يلقب بركن الدين ومحي السنة، وأحد العلماء الذين خدموا القرآن والسنة النبوية، والفراء: نسبة إلى عمل الفراء وبيعها. والبغوي:نسبة إلى بلدة يقال لها "بغ" بخرسان. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (ت١٣٩٦هـ). ٢٠٠٢م. الأعلام. دار العلم للملايين. ط١٥. ٢٥٩/٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

متروك، وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث، وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا، ثم قال: قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن، عن الأحنف، عن العباس، وهذا أشبه وأصح. والله أعلم[٥٤]. يقول ابن تيمية: "والذبيح على القول الصحيح ابنه الكبير إسماعيل، كما دلت على ذلك سورة الصافات وغير ذلك؛ فإنه قد كان سأل ربه أن يهب له من الصالحين فبشره بالغلام الحليم إسماعيل فلما بلغ معه السعي أمره أن يذبحه؛ لئلا يبقى في قلبه محبة مخلوق تزاحم محبة الخالق إذ كان قد طلبه وهو بكره"[٥٥].

وتصدى الإمام الفراهي[٥٦] في كتابه المسمى: "الرأي الصحيح في من هو الذبيح" لما زعمه اليهود من أن الذبيح إسحاق والكشف عن تحريفاتهم لإثبات ذلك في التوراة بوقوع التضحية قبل ولادة إسحاق[٥٧]. فالله بشَّرَ إبراهيم بإسحاق، وفي الوقت نفسه أخبره أن إسحاق سيتزوج وينجب يعقوب فلو كان إسحاق هو الذبيح لكان خُلْفاً للموعد في يعقوب؛ لأنه ما كان قد ولد بعد، يقول تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾[٥٨]. فقد حرف أهل الكتاب اسم الذبيح وحرفوا اسم

٥٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤). ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة. ط٢. ج٧. ص٣٢-٣٣.

٥٥- ابن تيمية، تقي الدين بن أحمد (٧٢٨هـ). منهاج السنة النبوية. تح: محمد رشاد سالم. مؤسسة قرطبة. ط١. ج٥. ص٢٤٧.

٥٦- هو: عبدالحميد الفراهي الهندي(ت١٣٤٩هـ) وولد في قرية فريها، أعظم كره بالهند. وهو علامة العربية والتفسير، أحد مخضرمي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. موقع المكتبة الشاملة الألكتروني http://shamela.ws/index.php/author/٢٥٥٣

٥٧- راجع كتاب الفراهي، الإمام عبد الحميد بن عبد الكريم (ت١٩٣٠م). ١٤١٨هـ. دمشق: دار القلم.

٥٨- سورة هود ١١. الآية ٧١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المكان المعظم الذي جرت فيه أحداث القصة، وقد اتفق النصان العبري والسامري على تسمية ذلك الموضع "جبل الله" فقال السامريون: هو جبل جرزيم[٥٩]. وقال العبرانيون: بل هو جبل أورشليم، الذي بُنِيَ عليه الهيكل بعد القصة بعدة قرون[٦٠].

فالمكان معروف غير مجهول، فقد صرح الله بأن سكنى إسماعيل عليه السلام كانت في مكة، وقد استجاب الله لدعاء إبراهيم، وفي بركة إسماعيل تطابق مع قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٦١]. لأن قصة الذبح جرت في الأرض المقدسة (فاران)، وهي مكة، واختلافهم في تحديدها دليل على صحة هذا واتفاقهم على تسمية المكان بجبل الرب صحيح، لكنهم اختلفوا في تحديده وقد ربطوه بتسميات ظهرت بعد الحادثة بقرون عدة، وتجاهلوا البيت المعظم الذي بني في تلك البقعة حينذاك، ويسمى بيت الله.

ويروي إنجيل يوحنا امرأة سامرية دخلت على عيسى عليه السلام وسألته عن المكان الحقيقي المعد للعبادة: «قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ. آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ

٥٩- التوراة السامرية. ١٣٩٨هـ. ترجمة الكاهن: أبو الحسن إسحاق الصوري. القاهرة: دار الأنصار. ط١. ص١٥.

٦٠- سفر الأيام. ٢: ٣/١.

٦١- سورة إبراهيم ١٤. الآية ٣٧.

تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا»[٦٢].

ويمكن القول بأن هذا الاختلاف من الأمور المهمة، التي تفرق السامريين عن العبرانيين. فمن هم الساجدون الحقيقيون الذين يسجدون في غير قبلة السامريين والعبرانيين؟ إنهم الأمة الإسلامية الجديدة التي تُولد بعد حين، ذلك أنه لم تترك أمة قداسة قبلتها سوى أمة الإسلام التي يفد إليها ملايين المسلمين سنوياً في مكة المكرمة، وقد قال ميخا النبي: «وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ وَتَجْرِي إِلَيْهِ شُعُوبٌ. وَتَسِيرُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ وَيَقُولُونَ: هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ»[٦٣]. وفي هذا إشارة إلى مكة والبيت الحرام، وإلى إتيان الناس للحج عند جبل عرفات.

كما رمز النبيُّ إِشَعْيَاءُ لمكة في نص آخر بالعاقر، وتحدث عن الجموع الكثيرة التي تأتي إليها ويعدها بالأمان والبركة والعز، فقال: «تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ، أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ. أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ لاَ تُمْسِكِي، أَطِيلِي أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِي أَوْتَادَكِ؛ لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً. لاَ

٦٢- إنجيل يوحنا. ٤/١٩-٢٤.

٦٣- سفر ميخا. ٤/١-٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تَخَافِي؛ لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ. فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْيَ صَبَاكِ، وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ؛ لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى؛ لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ قَالَ إِلهُكِ. لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ. بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِي. كَمَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ. فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ، وَعَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ. قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ: أَيَّتُهَا الذَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ غَيْرُ الْمُتَعَزِّيَةِ، هأَنَذَا أَبْنِي بِالأُثْمُدِ حِجَارَتَكِ وَبِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ أُؤَسِّسُكِ، وَأَجْعَلُ شُرَفَكِ يَاقُوتًا، وَأَبْوَابَكِ حِجَارَةً بَهْرَمَانِيَّةً وَكُلَّ تُخُومِكِ حِجَارَةً كَرِيمَةً وَكُلُّ بَنِيكِ تِلاَمِيذُ الرَّبِّ، وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا. بِالْبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلاَ تَخَافِينَ، وَعَنِ الارْتِعَابِ فَلاَ يَدْنُو مِنْكِ. هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعًا لَيْسَ مِنْ عِنْدِي. مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيْكِ يَسْقُطُ. هأَنَذَا قَدْ خَلَقْتُ الْحَدَّادَ الَّذِي يَنْفُخُ الْفَحْمَ فِي النَّارِ وَيُخْرِجُ آلَةً لِعَمَلِهِ، وَأَنَا خَلَقْتُ الْمُهْلِكَ لِيَخْرِبَ. كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ. هذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ وَبِرُّهُمْ مِنْ عِنْدِي»[٦٤]. فَسَمَّى مكةَ بالعاقر؛ لأنه لم يولد بها بعد إسماعيل إلا محمدا، وقوله: «لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ» يقصد به أن زوار مكة أو أبناءها أكثر من زوار

٦٤- سفر إِشَعْيَاءَ. ٥٤: ١-١٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تَخَافِي؛ لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ. فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْيَ صَبَاكِ، وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ؛ لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى؛ لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ قَالَ إِلهُكِ. لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ. بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِي. كَمَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ. فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ، وَعَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ. قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ: أَيَّتُهَا الذَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ غَيْرُ الْمُتَعَزِّيَةِ، هأَنَذَا أَبْنِي بِالأُثْمُدِ حِجَارَتَكِ وَبِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ أُؤَسِّسُكِ، وَأَجْعَلُ شُرَفَكِ يَاقُوتًا، وَأَبْوَابَكِ حِجَارَةً بَهْرَمَانِيَّةً وَكُلَّ تُخُومِكِ حِجَارَةً كَرِيمَةً وَكُلُّ بَنِيكِ تَلاَمِيذُ الرَّبِّ، وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا. بِالْبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلاَ تَخَافِينَ، وَعَنِ الارْتِعَابِ فَلاَ يَدْنُو مِنْكِ. هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعًا لَيْسَ مِنْ عِنْدِي. مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيْكِ يَسْقُطُ. هأَنَذَا قَدْ خَلَقْتُ الْحَدَّادَ الَّذِي يَنْفُخُ الْفَحْمَ فِي النَّارِ وَيُخْرِجُ آلَةً لِعَمَلِهِ، وَأَنَا خَلَقْتُ الْمُهْلِكَ لِيُخْرِبَ. كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ. هذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ وَبِرُّهُمْ مِنْ عِنْدِي»[٦٤]. فَسَمَّى مكةَ بالعاقر؛ لأنه لم يولد بها بعد إسماعيل إلا محمدا، وقوله: «لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ» يقصد به أن زوار مكة أو أبناءها أكثر من زوار

٦٤- سفر إِشَعْيَاءَ. ٥٤: ١-١٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أورشليم التي يسميها ذات البعل. ولفظة «بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ» يراد بها ذرية إسماعيل الذي وصفته التوراة بأنه «وحشي»[٦٥].

كما تحدثت المزامير عن مدينة المسيح الْمُخَلِّصِ، المدينة المباركة التي فيها بيت الله التي تتضاعف فيها الحسنات؛ فالعمل فيها يعدل الألوف في سواها، وقد سماها باسمها (بكة)، فجاء فيها: «طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ، أَبَدًا يُسَبِّحُونَكَ. سِلاَهْ. طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ. عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا. أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ. يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ. يُرَوْنَ قُدَّامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ. يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، اسْمَعْ صَلاَتِي وَاصْغَ يَا إِلهَ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ. يَا مُجَنَّنَا انْظُرْ يَا اَللهُ، وَالْتَفِتْ إِلَى وَجْهِ مَسِيحِكَ. لأَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ. اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ»[٦٦].

والنص كما جاء في ترجمة الكاثوليك كالآتي: «يجتازون في وادي البكاء، فيجعلونه ينابيع ماء؛ لأن المشترع يغمرهم ببركاته، فينطلقون من قوة إلى قوة، إلى أن يتجلى لهم إله الآلهة في صهيون»[٦٧]. وهذا الاسم العظيم (بكة) هو اسم بلد النبي محمد ﷺ وهو الاسم الذي سمَّى القرآن الكريم به مكة البلد الحرام، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

٦٥- سفر التكوين. ١٦/١١-١٢.

٦٦- سفر المزامير. ٨٤/٤-١٠.

٦٧- سفر المزامير ٨٣/٧-٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[٦٨]. وبركة هذا البيت بما جعل الله لقاطنيه وقاصديه من مضاعفة الحسنات عنده؛ فصلاة فيه -كما أخبرنا النبي محمد ﷺ تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه، قال ﷺ: "صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفضلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِن مِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ"[٦٩]. فيصدق فيه ما ورد في سفر المزامير: «لأَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ»[٧٠]. لكن علماء الكتاب المقدس لن يسلموا للمسلمين بأن المقصود من وادي البُكا وادي مكة (بكة) فهم يقولون: «أما وادي الْبُكَا المذكور في المزمور[٧١] فربما يكون بقعة جغرافية، ولكن يرجح أنه مجرد فكرة تحمل معنى عميقاً، فإن أولئك الذين لهم اختبار طيب مع الرب، بنعمته تتحول المآسي في حياتهم إلى أفراح»[٧٢]. فهم يرون أن بكّا سميت كذلك نسبة إلى شجر البلسان الذي يخرج منه مادة صمغية تشبه دموع الْبُكاء وهو شجر ينبت -حسب اعترافهم- في مكة المكرمة يقول كُتّاب قاموس الكتاب المقدس عن أشجار البُكا: «ربما يقصد به شجر البلسم، أو ما يشبهه؛ ففي بلاد العرب -قرب مكة- شجر بهذا الاسم، يشبه شجر البلسم أو

٦٨- سورة آل عمران ٣. الآية ٩٦.

٦٩- ابن حنبل، الإمام أحمد الشيباني (ت٢٤١هـ). ١٩٩٩م. المسند. تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة. ط٢. ج٣. ح١٥٣٠٦. وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري.

٧٠- سفر المزامير. ١٠/٨٤.

٧١- سفر المزامير. ٦/٨٤.

٧٢- دائرة المعارف الكتابية. ١٩٩٥م. مجموعة من المحررين. دار الثقافة. ط٣. ١٨٧/٢. قاموس الكتاب المقدس. ٢٠١١م. نخبة من الأساتذة واللاهوتيين. هيئة التحرير: بطرس عبد الملك، وآخرون. دار الثقافة. ط٩. ص٥٠٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

البلسان، وله عصارة بيضاء لاسعة. وقد سمى شجر البُكا نسبة؛ لأن تلك الأشجار تنضح بالصموغ، أو نسبة لقطرات الندى التي تقع عليه»[٧٣].

وهكذا فإن من عادة أهل الكتاب في ترجمتهم للأسماء وإعادتها إلى معانيها، أن يوردوا في الترجمة المعنى دون الاسم، وقد يزيدون تفسيراً للعبارة، فيقحمونه في النص، وَلَكَمْ ضاع بسبب هذا الصنيع من دلالات واضحات ببشارات النبي محمد ﷺ وقد ضرب رحمة الله الهندي[٧٤] في كتابه "إظهار الحق" لهذا الصنيع من المترجمين ثلاثة عشر مثالاً، قارن فيها بين طبعات مختلفة للكتاب المقدس؛ ليقف منها على أثر هذا الصنيع في ضياع دلالات النصوص؛ منها أنه جاء: في الطبعة العربية (١٨١١م) "سمى إبراهيم اسم الموضع: مكان يرحم الله زائره". فاسم المكان العبراني أبدله المترجم بمعناه. وفي طبعة (١٨٤٤م) العربية قال: دعا اسم ذلك الموضع: «الرَّبُّ يُرَى». وبذلك ضاع الاسم الصحيح، واختلفت المعاني. ومثله كثير... ثم يقول رحمة الله الهندي: فهؤلاء المترجمون لو بدَّلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر، فلا استبعاد منهم.

وفي هذا الصدد ينقل رحمة الله الهندي عن حيدر القرشي صاحب كتاب "خلاصة سيف المسلمين" قوله: (إن القسيس[٧٥] أوسكان الأرمني ترجم كتابَ إِشَعْيَاءَ باللسان

٧٣- قاموس الكتاب المقدس. المصدر السابق. ص٥٠٧.

٧٤- هو محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي الحنفي (ت١٣٠٨هـ) وينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان عند الجد الرابع والثلاثين، له مؤلفات عدة باللغة الفارسية والأردية والعربية ومن أشهرها إظهار الحق. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

٧٥- القس، والقسيس: رئيس في الدِّين والعِلْمِ عند النصارى. شفيع يصلي عن شعب الله ويرعاهم ويخدمهم كأولاد الله. وجمعه: قِسِّيسُونَ وقَسَاوِسَة وقُسُوس، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾[المائدة:٨٢]. ملطي، القمص تادرس يعقوب.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعة أنتوني بورتولي، ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة: سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وأثر سلطنته على ظهره، واسمه أحمد)[٧٦]. وبما أنها أرض عظيمة ومباركة فلا يرثها الملعونون، ويشير المزمور إلى أن الأرض المباركة سيرثها الصالحون «الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ»[٧٧]. ولاشك أن الأمة الوارثة للأرض المباركة هي الأمة التي بَشَّرَ بها الأنبياء؛ لتقيم دين الله وترث الأرض، وأما الأمة الملعونة فقد ثبت في التوراة وفي القرآن أنها الأمة اليهودية التي عصت الأنبياء وتآمرت عليهم، وقتلت كثيرا منهم، وهم المقصودون بالأشرار الذين سَيُسْتَأْصَلُونَ من الأرض المباركة، وَيُقَطِّعُهُمُ اللهُ في الأرض أمما، تقول التوراة: «وَالآنَ إِلَيْكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةُ أَيُّهَا الْكَهَنَةُ: إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَسْمَعُونَ وَلاَ تَجْعَلُونَ فِي الْقَلْبِ لِتُعْطُوا مَجْدًا لاسْمِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَإِنِّي أُرْسِلُ عَلَيْكُمُ اللَّعْنَ، وَأَلْعَنُ بَرَكَاتِكُمْ، بَلْ قَدْ لَعَنْتُهَا؛ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَاعِلِينَ فِي الْقَلْبِ. هأَنَذَا أَنْتَهِرُ لَكُمُ الزَّرْعَ وَأَمُدُّ الْفَرْثَ عَلَى وُجُوهِكُمْ»[٧٨]. كما جاء في القرآن واصفا اليهود بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ

١٩٩١م قاموس المصطلحات الكنسية. القاهرة: مطبعة الأخوة المصريين. ص٤٠. وإبراهيم مصطفى وآخرون. ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م. المعجم الوسيط. تح: مجمع اللغة العربية. مطبعة مصر. ج٢. ص٧٣٤.

٧٦- رحمة الله الهندي:محمد بن خليل الرحمن (ت:١٣٠٨هـ). ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م. إظهار الحق. تح: محمد أحمد ملكاوي. السعودية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ط١. ج١٠٩٧/٤-١١٠٧.ج١٢٠٨/٤-١٢٠٩.

٧٧- المزمور. ٣٧/ ٢٩.

٧٨- سفر ملاخي. ٢/١-٣.

رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٧٩].

المطلب الثالث: هل يمكن أن يكون الاصطفاء من غير بني إسرائيل؟

بنو إسرائيل من أكثر الأمم الذين أرسل الله إليهم الأنبياء، ومع ذلك فقد كفروا بهم وقاموا بقتلهم، الأمر الذي يجعلهم غير مستحقين لدوام هذه البركة والاصطفاء معرضين عن الأخذ في الاعتبار ما يوجد من نصوص في الكتاب المقدس تدل على إمكانية انتقال النبوة من بني إسرائيل إلى أمة سواهم كالعرب؟ فقد قال موسى عليه السلام عن اليهود: «أَفْسَدَتْهُ الَّذِينَ لَيْسُوا أَوْلاَدَهُ عَيْبُهُمْ، جِيلٌ أَعْوَجُ مُلْتوٍ. أَلرَّبَّ تُكَافِئُونَ بِهذَا يَا شَعْبًا غَبِيًّا غَيْرَ حَكِيمٍ؟»[٨٠]. وقال: «إِنَّهُمْ أُمَّةٌ عَدِيمَةُ الرَّأْيِ وَلاَ بَصِيرَةَ فِيهِمْ. لَوْ عَقَلُوا لَفَطِنُوا بِهذِهِ وَتَأَمَّلُوا آخِرَتَهُمْ»[٨١]. وكذا قال النبي إيليا: «قَدْ غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا»[٨٢].

وكذا كان وَصْفُ الله لهم في سفر النبي حزقيال: «وَقَالَ لِي: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى أُمَّةٍ مُتَمَرِّدَةٍ قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَيَّ. هُمْ وَآبَاؤُهُمْ عَصَوْا عَلَيَّ إِلَى ذَاتِ هذَا الْيَوْمِ. وَالْبَنُونَ الْقُسَاةُ الْوُجُوهِ وَالصِّلاَبُ الْقُلُوبِ، أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ. فَتَقُولُ لَهُمْ:

٧٩- سورة الأعراف ٧. الآيتان ١٦٧-١٦٨.

٨٠- سفر التثنية. ٣٢/ ٥- ٦.

٨١- سفر التثنية. ٣٢/ ٢٨-٢٩.

٨٢- الملوك الأول. ١٩/ ١٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَهُمْ إِنْ سَمِعُوا وَإِنِ امْتَنَعُوا، لأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ نَبِيًّا كَانَ بَيْنَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ وَمِنْ كَلاَمِهِمْ لاَ تَخَفْ، لأَنَّهُمْ قَرِيسٌ وَسُلاَّءٌ لَدَيْكَ، وَأَنْتَ سَاكِنٌ بَيْنَ الْعَقَارِبِ. مِنْ كَلاَمِهِمْ لاَ تَخَفْ وَمِنْ وُجُوهِهِمْ لاَ تَرْتَعِبْ لأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ. وَتَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِكَلاَمِي، إِنْ سَمِعُوا وَإِنِ امْتَنَعُوا، لأَنَّهُمْ مُتَمَرِّدُونَ»[٨٣].

وكذا قال عنهم النبي إشَعْيَاءُ : «اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ؛ لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ. وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ أَوْلاَدٍ مُفْسِدِينَ تَرَكُوا الرَّبَّ، اسْتَهَانُوا بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ارْتَدُّوا إِلَى وَرَاءٍ. عَلَى أَيِّ مَوْضِعٍ تُضْرَبُونَ بَعْدُ؟ تَزْدَادُونَ زَيَغَانًا. كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ، وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ وَضَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تُلَيَّنْ بِالزَّيْتِ»[٨٤].

وهكذا ما زال غضب الله على بني إسرائيل حتى رفع البركة عنهم، وأحلَّهم غضبه وانتقامه ولعناتِه، كما جاء في التوراة: «وَالآنَ إِلَيْكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةُ أَيُّهَا الْكَهَنَةُ: إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَسْمَعُونَ وَلاَ تَجْعَلُونَ فِي الْقَلْبِ لِتُعْطُوا مَجْدًا لاسْمِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَإِنِّي أُرْسِلُ عَلَيْكُمُ اللَّعْنَ، وَأَلْعَنُ بَرَكَاتِكُمْ، بَلْ قَدْ لَعَنْتُهَا لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَاعِلِينَ فِي الْقَلْبِ. هأَنَذَا أَنْتَهِرُ لَكُمُ

٨٣- حزقيال. ٢/٣-٧.

٨٤- سفر أشعياء. ١/٢-٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الزَّرْعَ، وَأَمُدُّ الْفَرْثَ عَلَى وُجُوهِكُمْ، فَرْثَ أَعْيَادِكُمْ فَتُنْزَعُونَ مَعَهُ»[٨٥]. وبهذا يثبت من خلال نصوص الكتاب المقدس أن اليهود بنقضهم لعهد الله وميثاقه حرمهم الله من أن يكون النبي الموعود القادم منهم، فلن يكون القادم من ذرية داود عليه السلام.

وإذا كان الأمر في التوراة هكذا، فالأمر نفسه يثبته القرآن، ذلك أن نصوصا كثيرة بينت غضب الله على اليهود لنقضهم ميثاقه وكفرهم بأنبيائه، وقتلهم الأنبياء بغير حق قال تعالى: ﴿اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[٨٦]. وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[٨٧].

المطلب الرابع: بشارة موسى عليه السلام بظهور نبي ورسول مثله:

وَيَنْزِلُ موسى عليه السلام عن جبل الطور بعد ما كلَّمه ربُّه، فيقول مخاطباً بني إسرائيل: «قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ

٨٥- سفر ملاخي. ٢/١-٣.

٨٦- سورة البقرة ٢. الآية ٦١.

٨٧- سورة آل عمران ٣. الآية ١١٢.

يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ. وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلاَمَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ، فَلاَ تَخَفْ مِنْهُ»[٨٨].

فالبشارة بمحمد ﷺ بينة في النص السابق؛ فهو يتحدث عن نبي موعود يأتي بعد موسى عليه السلام يكون من إخوة بني إسرائيل، يجعل الله على لسانه كلامه، فمن عصاه انتقم منه ويذكر النَّصُّ صِفَاتِ هذا النبي التي نستطيع من خلالها معرفة أنه من غير بني إسرائيل: «مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ» وإخوتهم هم بنو إسماعيل. وعليه فهذا النبي يحتمل أن يكون من العرب تحقيقاً للبركة الموعودة في نسل إسماعيل، وقد يكون من بني عيسو بِكْرِ إسحاق لكن أحداً من بني عيسو لم يدّع أنه النبي المنتظر، ومن هنا لم تكن هذه الصفة لغير محمد ﷺ من بني إسماعيل عليه السلام[٨٩].

ومن صفات هذا النبي المنتظر أنه أُمِّيٌّ؛ لا يقرأ ولا يكتب، والوحي الذي يأتيه مشافهة يغاير ما جاء إلى الأنبياء قبله من صحف مكتوبة، فقد جاء في التوراة: «أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ»[٩٠]. وهو ما يتفق ما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي

٨٨- سفر التثنية. ١٨/١٧-٢٢.

٨٩- ابن حزم، أبو محمد علي الظاهري. الفصل في الملل والأهواء والنحل. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١/٩٠.

٩٠- سفر التثنية. ١٨/١٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[٩١]. وقوله تعالى: ﴿فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٩٢].

ومن صفات النبي المنتظر أن الذي لا يسمع لكلامه يعاقبه الله: «وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ»[٩٣] وقد فسرها بطرس فقال: « فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ»[٩٤]. فالنبي المنتظر واجب السمع والطاعة على كل أحد ومن لم يسمع له تعرض لعقوبة الله، وهو ما حاق بجميع أعداء النبي محمد ﷺ فقد انتقم الله من كل من كَذَّبَهُ من مشركي العرب، وأهل الكتاب والعجم، وقد قال المسيح عليه السلام عنه في نبوءة الكرّامين: «وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ»[٩٥]، فهو الْحَجَرُ الصَّلْبُ الذي يُفْنِي أعداءه العصاة، وَبَشَّرَ بمقدمه النبيُّ دانيال: «وَفِي أَيَّامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا وَمَلِكُهَا لاَ يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. لأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَلٍ لاَ بِيَدَيْنِ فَسَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. اَللهُ الْعَظِيمُ قَدْ عَرَّفَ الْمَلِكَ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ

٩١- سورة الأعراف ٧. الآية ١٥٧.

٩٢- سورة الأعراف ٧. الآية ١٥٨.

٩٣- سفر التثنية ١٨/١٩.

٩٤- سفر أعْمَال الرُّسُل. ٣/٢٢-٢٤.

٩٥- متّى. ٢١/٤٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هذَا. اَلْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ»[٩٦]. فهل كان نبيٌّ غيرَ مُحمدٍ ﷺ جمعَ الأجناسَ كلَّها فجعلهم جنساً واحداً ولغةً واحدةً وأمةً واحدةً، ودولةً واحدةً، وديناً واحداً فصحت النبوة المذكورة بلا إشكال[٩٧].

ومن صفات هذا النبي الموعود أن يَعْصِمَ اللَّهُ دَمَهُ من القتل، بينما النبي غير الموعود قد يُقتل؛ فقد قتل أنبياء كثيرون، الأمر الذي يعني أن القتل علامة على أن من يُقتل من الأنبياء ليس المُبَشَّرُ به في آخر الزمان، وليس عيسى ﷺ لأن النصارى يزعمون أنه قتل، فلا يمكن أن يكون هو النبي الموعود.

ومن علامة النبي الموعود أن يتحدث عن الغيب، ويصدق الواقع كلامه، ويكفي هنا إيراد نبوءة واحدة مما تنبأ به محمد ﷺ فكان كما أخبر. ذلك أنه في عام ٦١٧م كادت دولة الفرس أن تُزِيلَ الإمبراطورية الرومانية من خارطة الدنيا، فقد وصلت جيوش كسرى أبرويز الثاني إلى وادي النيل، ودانت له أجزاءً عظيمةً من مملكة الرومان، ففي سنوات معدودة تمكن جيش الفرس من السيطرة على بلاد الشام وبعض من مصر واحتلت جيوشهم أنطاكيا شمالاً، الأمر الذي يؤذن بنهاية وشيكة للإمبراطورية الرومانية، وأراد

٩٦- دانيال. ٢/٤٤-٤٥. ودانيال ٢/١٩-٤٣.

٩٧- ابن حزم. الفصل في الملل. مصدر سبق ذكره. ١/٩١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

روى الترمذي[١٠١] عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[١٠٢] قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهما أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره لرسول الله قال: أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: ألا جعلته إلى دون العشر. قال أبو سعيد: والبضع ما دون العشر. قال: ثم ظهرت الروم بعد. وبذلك يظهر أن النبي الذي نبأ عنه موسى عليه السلام تحققت أوصافه في محمد ﷺ.

المطلب الخامس: نبوءة موسى عليه السلام عن البركة الموعودة في أرض فاران[١٠٣]:

قبيل وفاة موسى عليه السلام ساق لبني إسرائيل خبراً مباركاً، فقد جاء في سفر التثنية: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ[١٠٤] وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ[١٠٥]، وَتَلأْلأَ[١٠٦] مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ

١٠١- الترمذي، محمد بن عيسى(ت٢٧٩). السنن. تح: أحمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج٥. ح٣١٩٣. قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

١٠٢- سورة الروم ٣٠. الآيات ١-٥.

١٠٣- فاران: من أسماء مكة. ذكرت في التوراة. قيل: اسم لجبال مكة أو جبال الحجاز. ياقوت الحموي. معجم البلدان. ٤/٢٢٥.

١٠٤- سيناء: بكسر السين وفتحها ممدودا، لا تنصرف، وهو كورة بمصر. قال الجوهري طور سيناء: جبل بالشام، وهو طور أضيف إلى سيناء، وهو شجر وكذلك طور سنين. والسنين شجر واحدتها سنية. ياقوت الحموي. معجم البلدان. المصدر السابق. ٤/٨٤.

١٠٥- سعير، أو ساعير: اسم لجبال فلسطين، قرية من قرى الناصرة، ذكرت في التوراة. ياقوت الحموي. معجم البلدان. ٣/١٧١.

١٠٦- ورد في بعض النسخ: واستعلن بدل (وَتَلأْلأَ). ابن حزم. الفصل في الملل. مصدر سبق ذكره. ١/٩٠. وياقوت الحموي. معجم البلدان. ٣/١٧١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ»[١٠٧]. ويُعلق ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ) على ما ورد في هذا النص التوراتي فيرى أنه إشارة إلى مواضع نبوات موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. فقوله: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ» موضع مناجات الله لموسى عليه السلام على طُور سيناء. وقوله: «وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ» إشارة إلى موضع ظهور عيسى بن مريم عليه السلام من الناصرة. وقوله: «وَتَلأْلأَ [وَاسْتَعْلَنَ] مِنْ جَبَلِ فَارَانَ» إشارة إلى موضع ظهور نبينا محمد ﷺ إذ عندهم في التوراة جبال فاران هي جبال الحجاز، والنبي ظهر منها؛ ذلك أن إبراهيم أسكن ابنه إسماعيل عليه السلام في فاران، ولا خلاف في أنه إنما أسكنه مكة، فهذا النص فيه بشارة بمبعث النبي محمد ﷺ[١٠٨].

ويرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[١٠٩] (ت١٩٧٣م) أن «التوراة» قد جاءت فيها بشارة بمجيء محمد ﷺ ووصف أصحابه، وأنه يصلح لتطبيق هذه البشارة ما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾[١١٠].

١٠٧- سفر التثنية. ٣٣/١-٣.

١٠٨- ابن حزم. الفصل. ٩٠/١. وياقوت الحموي. معجم البلدان. ١٧١/٣.

١٠٩- ابن عاشور هو: العلامة المفسر محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور، ولد في تونس سنة (١٢٩٦هـ) ، الموافق (١٨٧٩م)، و توفي بها(١٣٩٤- ١٩٧٣م) عن عمر يناهز ٩٨ عاماً، وهو من أسرة علمية عريقة، برز في عدد من العلوم وتبغ فيها، كعلم الشريعة واللغة والأدب، وكان متقنا للُّغة الفرنسية، وعضواً مراسَلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

١١٠- سورة الفتح ٤٨. الآية ٢٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويذهب ابن عاشور إلى أن البشارة الرمزية التي في الإصحاح الثالث والثلاثين من «سفر التثنية» من قول موسى عليه السلام: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ»[١١١]. يصلح لتطبيقه على ما جاء في الآية المذكورة أعلاه، فإن جبل فاران هو: جبال الحجاز. وقوله في التوراة: «فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ» يفيد معنى قوله تعالى في القرآن: ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[١١٢]. وقوله في التوراة: «قِدِّيسِيهِ» يفيد معنى قوله في القرآن: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾[١١٣]. ومعنى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[١١٤]. وقوله في التوراة: «جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ» يفيد معنى قوله في القرآن: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[١١٥] ويكون قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من وصفهم في التوراة[١١٦]. وتذكر التوراة أن إسماعيل عليه السلام قد نشأ في برية فاران، فقد جاء في سفر التكوين: «وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ»[١١٧] ومن المعلوم تاريخياً أنه نشأ في مكة المكرمة في الحجاز.

١١١- التثنية. ٣٣/١-٣.

١١٢- سورة الفتح ٤٨. الآية ٢٩.

١١٣- سورة الفتح ٤٨. الآية ٢٩.

١١٤- سورة الفتح ٤٨. الآية ٢٩.

١١٥- سورة الحشر ٥٩. الآية ٨.

١١٦- ابن عاشور. التحرير والتنوير. مصدر سبق ذكره. ج٢٦.ص ٢٠٧.

١١٧- التكوين. ٢١/٢١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويرى المسلمون أن النص نبوءة عن ظهور موسى ﷺ في سيناء، وعيسى ﷺ في سعير في فلسطين، ثم محمد ﷺ في جبل فاران، حيث يأتي ومعه الآلاف من الأطهار مؤيدين بالشريعة من الله. وذلك متحقق في رسول الله لأمور من أهمها:

- أن جبل فاران هو جبل في مكة، حيث سكن إسماعيل ﷺ وذلك حسب ما جاء في سفر التكوين: «وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»[١١٨]. وقد انتشر أبناؤه في هذه المنطقة، حيث تقول التوراة: «هؤُلاَءِ هُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ، وَهذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ بِدِيَارِهِمْ وَحُصُونِهِمْ. اثْنَا عَشَرَ رَئِيسًا حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ. وَهذِهِ سِنُو حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ: مِئَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ وَمَاتَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ. أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ»[١١٩]. وحَوِيلَةَ كما جاء في قاموس الكتاب المقدس منطقة في شمال أرض اليمن، بينما شور في جنوب فلسطين[١٢٠]. وعليه فإن إسماعيل وأبناءه سكنوا هذه البلاد الممتدة جنوب الحجاز وشماله، وهو يشمل أرض فاران التي سكنها إسماعيل ﷺ.

ونقول: لم خُصَّ جبل فاران بالذكر؟ دون سائر الجبال لو كان الأمر مجرد إشارة إلى انتشار مجد الله -كما زعم بعض كتاب اليهود- فإن مجد الله لم يتوقف عند حدود

١١٨- التكوين. ٢١/٢٠-٢١.

١١٩- التكوين. ٢٥/١٦-١٨.

١٢٠- قاموس الكتاب المقدس. مصدر سبق ذكره. ص ٣٢٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فارن أو جبل سعير. ومما يؤكد أن الأمر متعلق بنبوءة الحديث عن آلاف القديسين، الذين تسميهم بعض التراجم "أطهار الملائكة" أي أطهار الأتباع، إذ يطلق هذا اللفظ ويراد به: الأتباع كما جاء في سفر الرؤيا: «وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ»[١٢١]. فمتى شهد فاران مثل هذه الألوف من الأطهار إلا عند ظهور محمد ﷺ وأصحابه —رضوان الله عليهم-؟

- وما جاء في سفر حَبَقُّوقَ يؤيد ذلك، حيث يقول: «اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ. وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ. قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى. وَقَفَ وَقَاسَ الأَرْضَ. نَظَرَ فَرَجَفَ الأُمَمُ وَدُكَّتِ الْجِبَالُ الدَّهْرِيَّةُ وَخَسَفَتْ آكَامُ الْقِدَمِ. مَسَالِكُ الأَزَلِ لَهُ»[١٢٢] فالنص شاهد على أنه ثمة نبوة قاهرة تلمع كالنور ويملأ الآفاق دوي أذان هذا النبي بالتسبيح.

المطلب السادس: بشارة داود عليه السلام بنبي من غير ذريته:

يتحدث داود عليه السلام عن النبي القادم الموعود فيقول: «قَالَ الرَّبُّ: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ. تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ. شَعْبُكَ مُنْتَدَبٌ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ، فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ، لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ. أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ. الرَّبُّ عَنْ

١٢١- الرؤيا. ١٢/٧.

١٢٢- حبقوق. ٣/٣-٦.

يَمِينِكَ يُحَطِّمُ فِي يَوْمِ رِجْزِهِ مُلُوكًا. يَدِينُ بَيْنَ الأُمَمِ. مَلأَ جُثَثًا أَرْضًا وَاسِعَةً. سَحَقَ رُؤُوسَهَا»[١٢٣]. وقد تنبأ سليمان عليه السلام أيضاً في المزامير، فبشر بالنبي الموعود فقال: «وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ. مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالْجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. مُلُوكُ شَبَا وَسَبَأٍ يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً. وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ. لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ. يُشْفِقُ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْبَائِسِ وَيُخَلِّصُ أَنْفُسَ الْفُقَرَاءِ. مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ. وَيَعِيشُ وَيُعْطِيهِ مِنْ ذَهَبِ شَبَا. وَيُصَلِّي لأَجْلِهِ دَائِمًا. الْيَوْمَ كُلَّهُ يُبَارِكُهُ.

تَكُونُ حُفْنَةُ بُرٍّ فِي الأَرْضِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ. تَتَمَايَلُ مِثْلَ لُبْنَانَ ثَمَرَتُهَا، وَيُزْهِرُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ عُشْبِ الأَرْضِ. يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ. مُبَارَكٌ الرَّبُّ اللهُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ وَحْدَهُ. وَمُبَارَكٌ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ»[١٢٤]. فَمَنْ غَيْرُ نبي الإسلام محمد ﷺ سجدت له الملوك وأذعنت ومَجَّدَهُ الله في كل الدهور؟ لا ريب أنه النبي محمد ﷺ الذي دانت لسلطانه أعظم ممالك عصره، الروم والفرس.

ومن البشارة به ﷺ أن يستبدل قومه بالعز بعد الذل، وأن يكتب له الذكر الحميد سائر الدهر كما في المزمور: «عِوَضًا عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ

١٢٣- المزمور. ١١٠/١-٦.

١٢٤- المزمور: ٧٢/٨-١٩.

الأَرْضِ»[١٢٥]. وقوله: «أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ»[١٢٦]. فهو أحمد ومحمد ﷺ.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

١٢٥- المزمور: ٤٥/١٦.

١٢٦- المزمور: ٤٥/١٧.

المبحث الثاني

النبي محمد ﷺ كما جاء في العهد الجديد.

المطلب الأول: بشارة المسيح بِالبَارِقْلِيطِ (الْمُعَزِّي):

من أعظم بشارات العهد الجديد بالنبي الخاتم إلى هذا العالم. وينفرد يوحنا في إنجيله بذكر هذه البشارات المتوالية من المسيح عليه السلام بهذا النبي المنتظر؛ فيبين المسيح لتلاميذه أن النبي الآتي عرضة للتكذيب من قبل اليهود والتلاميذ، لذا يكثر المسيح عليه السلام من الوصية بالإيمان به واتباعه، فيقول: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الأب فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ؛ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ؛ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ»[١٢٧]. فالنص كما هو واضح يبين بجلاء البشارة بالنبي الخاتم، وبأن العالم سيكذبه؛ لأنهم لا يعرفونه وعلى النصارى الإيمان به واتباعه لأنهم يعرفونه حق المعرفة؛ حيث عَرَّفَهُمْ به عيسى عليه السلام وهو ما يناسب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٢٨].

وفي يوحنا، وبعد أن يعظ المسيح عليه السلام تلاميذه، يطلب منهم الإيمان بالنبي الموعود ويُنْبِئُهُمْ بأن النبي الموعود سيشهد بنبوة عيسى عليه السلام وحقيقته، وهي كونه ليس إلها، بل هو

١٢٧- يوحنا. ١٤/١٥.

١٢٨- سورة البقرة ٢.الآية ١٤٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بشر رسول وعلى أتباعه من النصارى أن يشهدوا بما بَشَّرَ به من مجيء النبي الخاتم، يقول يوحنا: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي، وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ»[١٢٩]. وهذا يناسب ما ورد في القرآن بخصوص نبوة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[١٣٠]. فقد اكتفى محمد ﷺ بالتدليل على رسالته بإشهاد الله له، وبإشهاد مَنْ عنده علم الكتاب، وهم الذين قصدهم عيسى ﷺ في الإنجيل، ويرى ابن عاشور أنه يحتمل أن يكون المراد بمن عنده علم الكتاب معيّناً؛ فهو ورقة بن نوفل[١٣١] الذي شهد بأن ما نزل على محمد ﷺ هو الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ.

ويحتمل أن يكون المراد به عبد الله بن سلام[١٣٢] الذي آمن بمحمد ﷺ في أول مَقْدَمِهِ المدينة ويُبعده أن السورة مكية. ووجه شهادتهم برسالة محمد ﷺ أنهم وجدوا البشارة

١٢٩- يوحنا. ١٥/٢٦-٢٧.

١٣٠- سورة الرعد ١٣. الآية ٤٣.

١٣١- حكيم جاهلي نصراني، ابن عم خديجة. أدرك أول عصر النبوة،. وفي حديث ابتداء الوحي، أن النبي رجع إلى خديجة، فأخبرها فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره الرسول ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذع. ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله: أومخرجي هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. وفي وفاته روايتان: إحداهما الراجحة، أنه توفي بعد بدء الوحي بقليل في سنة ١٢ق هـ/نحو ٦١١ م). والثانية، أنه توفي بعد بدء الدعوة. البخاري محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ). ١٩٨٧م. في صحيحه المختصر. تح: مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير. ط٣. كتاب الإيمان. باب: بدء الوحي. ح٣. وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ). ١٤١٢هـ. الإصابة في تمييز الصحابة. تح: علي البجاوي. بيروت: دار الجيل. ط١. ج٦. ص٢٠٧.

١٣٢- عبد الله بن سلَام -بالتخفيف- بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي أنصاري، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب -عليهما-. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان من بني قينقاع، واسمه: "الحصين" فسماه النبي ﷺ عبد الله. وفيه نزلت الآية:

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بالنبي الخاتم للرسل موافقة لما جاء في القرآن ومفسرة للرموز الواردة في التوراة والإنجيل في صفة النبي المصدق الموعود به[١٣٣]. وإذا كان المسيح عليه السلام يتحدث في هذه النصوص عن صفات النبي الآتي بعده فمن هو هذا الآتي؟ إنه البارقليط، أو الْمُعَزِّي. فمن هو البارقليط أو الْمُعَزِّي عند النصارى؟

يرى النصارى أن الآتي بعد عيسى عليه السلام هو البارقليط، وهو روح القدس، الذي نزل على التلاميذ يوم الخمسين؛ ليُعزِّيَهم في فقدهم المسيح، كما في سفر أعمال الرسل: «وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ، وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخَرَ كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا»[١٣٤].

يقول الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: البارقليط هو روح الله القدوس نفسه الْمُعَزِّي البارقليط: الْمُعَزِّي «الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي»[١٣٥]، وهو

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف١٠]. والآية: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد٤٣]. وله ٢٥ حديثا. شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها. وأقام بالمدينة إلى أن مات سنة ٤٣هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. مصدر سبق ذكره. ج٤. ص١١٨. والزركلي، الأعلام. مرجع سبق ذكره. ج٤. ص٩٠.

١٣٣- ابن عاشور. التحرير والتنوير. مصدر سبق ذكره. ١٧٦/١٣.

١٣٤- أعمال. ١/٢-٤.

١٣٥- يوحنا. ٢٦/١٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الذي نزل عليهم يوم الخمسين[١٣٦] فامتلأوا به، وخرجوا للتبشير، وهو مع الكنيسة، وفي المؤمنين وهو هبة ملازمة للإيمان والعماد»[١٣٧].

وجاء في معجم اللاهوت الكتابي: لفظ بارقليط، (Parakletos) باليونانية الفرقان الحق من كتابات القديس يوحنا، يُعبِّر ليس عن طبيعة شخص، بل عن وظيفته... فهو من يلعب دور المساعد الإيجابي والمحامي، والمؤيد، ويقوم بهذه المهمة يسوع المسيح الذي هو: «شفيع لنا عند الأب وهو كفارة عن خطايانا في السماء»[١٣٨] كما يقوم بها أيضاً الروح القدس الذي يحقق حضور يسوع فعلياً من حيث هو الشاهد والمدافع عنه بين المؤمنين[١٣٩].

ويرى مراد ويلفريد (Murad Wilfried Hofmann) كان لابد من مجئ نبي آخر ليبشر بوجود الله العزيز الواحد الأحد للبشر أجمعين. بحيث لايمكن لأحد غيره أضافة شيئا من الكمال والحقيقة وهو ما يجعل محمداً خاتم الأنبياء أجمعين[١٤٠].

أما البارقليط عند المسلمين فهم يعتقدون أن ما جاء في يوحنا بشارة من المسيح عليه السلام بالنبي محمد ﷺ وأن لفظة: (الْمُعَزِّي) لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة، فيما كانت التراجم القديمة تضع الكلمة اليونانية (البارقليط) كما هي، وهو ما يصنعه كثير من

١٣٦- أعمال. ٢/١-٤.

١٣٧- الأنبا أثناسيوس. ١٩٩٥م. تفسير إنجيل يوحنا. القاهرة: دار الجيل. ط٤. ص ١١٨.

١٣٨- يوحنا ١. ٢/١.

١٣٩- معجم اللاهوت الكتابي (مادة بارقليط) النسخة الإلكترونية. والأنبا أثناسيوس. تفسير إنجيل يوحنا. المصدر السابق. ص٢٠٥.

١٤٠- هوفمان، مراد ويلفريد. ١٩٩٣م يوميات ألماني مسلم. ترجمة: عباس رشدي العماري. القاهرة. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ط١. ص٧١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

التراجم العالمية. ويرى القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) أن معنى البارقليط: روح القدس، وروح الحق ومعناه: الذي يفرق بين الحق والباطل، ومن أسمائه في الكتب السالفة: (ماذ ماذ). ومعناه: طيب وطيب، والخاتم والحاتم. فالخاتم الذي ختم الأنبياء. والحاتم أحسن الأنبياء خَلْقًا وَخُلُقًا، كما يسمى: الْمُنْحَمِنَّا، ومعناه بالسريناية: محمد ﷺ[١٤١]. وفي تفسير كلمة (بارقليط) اليونانية، فإن هذا اللفظ اليوناني الأصل، لا يخلو من أحد حالين، الأول: إنه (باراكلي توس)، فيكون حسب قول النصارى بمعنى: الْمُعَزِّي والمعين والوكيل والثاني: إنه (بيروكلوتوس)، فيكون قريباً من معنى: محمد وأحمد ﷺ[١٤٢].

وقد بدّل الرهبان لفظ الفارقليط في المطبوعات الأخيرة بالْمُعَزِّي، ويرى أسقف[١٤٣] بني سويف الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: «أن لفظ بارقليط إذا حُرِّفَ نطقه قليلاً يصير (بيركليت) ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب من لفظ أحمد»[١٤٤]. وهناك من يعترف أن (الْمُعَزِّي) أصل لغوي خاطئ، وهو ما ذكره معجم اللاهوت الكتابي، حين كتب مؤلفوه: ومعنى: (الْمُعَزِّي) -المشتق على الأرجح من أصل لغوي خاطئ- غير وارد في العهد الجديد»[١٤٥].

١٤١- عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. مصدر سبق ذكره ٢٣٤/١.

١٤٢- رحمة الله الهندي. إظهار الحق. مصدر سبق ذكره. ج٤. ص١١٨٧.

١٤٣- أُسْقف: لقب ديني لأحبار النصارى، ويعني مشرف الكنيسة أو راعيها. يجمع على: أساقِفَةٌ وأساقِفُ، وهو لقب فوق القسيس ودون المطران. إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط. مصدر سبق ذكره. ج١. ص١٨.

١٤٤- الأنبا أثناسيوس. تفسير إنجيل يوحنا. مصدر سبق ذكره. ص١١٧.

١٤٥- معجم اللاهوت الكتابي (مادة بارقليط) النسخة الإلكترونية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وبهذا يتضح أن هناك خلافاً بين المسلمين والنصارى في الأصل اليوناني لكلمة (بارقليط). فالمسلمون يعتقدون أن أصلها (بيركلوتوس) وأن تحريفاً قام به النصارى لإخفاء دلالة الكلمة على اسم النبي ﷺ أحمد، أو محمد. ومثل هذا التحريف لا يستغرب وقوعه في كتب القوم؛ ففيها من الطوام ما يجعل تحريف كلمة (البيرقليط) من السهل الْهَيِّنِ.

وَأَيًّا كان المعنى للبارقليط: أحمد، أو الْمُعَزِّي فإن الأوصاف والمقدمات التي ذكرها المسيح للبارقليط تمنع أن يكون المقصود به روح القدس (جبريل) عليه السلام وتؤكد أنه كائن بشري يعطيه الله النبوة، وقد فهم أوائل النصارى قول يوحنا بأنه بشارة بكائن بشري وادعى مونتنوس في القرن الثاني (ت١٨٧م) أنه البارقليط القادم، ومثله فَعَلَ ماني في القرن الرابع؛ فادَّعى أنه البارقليط، وتَشَبَّهَ بالمسيح عليه السلام فاختار اثني عشر تلميذاً، وسبعين أسقفاً أرسلهم إلى بلاد المشرق، ولو كان فهمهم للبارقليط أنه الأقنوم الثالث (روح القدس) لما تجرأوا على هذه الدعوى[١٤٦].

ومن صفات الْمُعَزِّي الآتي أنه يجيء بعد ذهاب المسيح عليه السلام من الدنيا؛ فالمسيح وذلك الرسول الْمُعَزِّي لايجتمعان في الدنيا، وهو ما يؤكد مرة أخرى أن الْمُعَزِّي لا يمكن أن يكون الروح القدس الذي أيد المسيح طيلة حياته، بينما الْمُعَزِّي لا يأتي الدنيا والمسيح فيها، كما في يوحنا: «وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي:

١٤٦- الألوسي، نعمان بن محمود بن عبدالله أبو البركات (ت١٣١٧هـ). ١٩٨٧م. الجواب الفسيح لما لفَّقه عَبد المسيح. القاهرة: دار البيان العربي. ط١.ج١. ص٢٨٦–٢٩١. وداود، عبدالأحد "ديفيد بنجامين". محمد في الكتاب المقدس. ترجمة: فهمي شما. مطابع الدوحة. ص٢٢٤-٢٢٥. والسقا. البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل. مصدر سبق ذكره. ص٢/٢٧٦–٢٧٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أَيْنَ تَمْضِي؟ لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ»[١٤٧]. ويؤكد هذا أن روح القدس سابق في الوجود على المسيح، وموجود في التلاميذ من قبل ذهاب المسيح؛ فقد كان شاهداً عند خلق السماوات والأرض[١٤٨] وكان مع بني إسرائيل طويلاً: «أَيْنَ الَّذِي جَعَلَ فِي وَسَطِهِمْ رُوحَ قُدْسِهِ»[١٤٩].

ومن ناحية أخرى، فإن هذه الوصايا لا معنى لها، إذا كان الآتي هو الروح القدس -أي جبريل- عليه السلام حيث نزل على شكل ألسنة نارية، فكان أثرها في نفوسهم معرفتهم للغات مختلفة، فمثل هذا لا يحتاج إلى وصية للإيمان به، والتأكيد على صدقه؛ لأنه يقوم في القلب من غير حاجة لرده أو قدرة على تكذيبه وبخاصة أن رُوحَ القدس -وفق عقيدة النصارى- إِلَهٌ مُسَاوٍ للأب في ألوهيته على أساس عقيدة التثليث النصرانية المعروفة باعتبار أن الإله يتكون من ثلاثة أقانيم: (الأب، والابن، وروح القدس) الأمر الذي يعني أن روح القدس يَقْدِرُ على أن يتكلم من عند نفسه، وروح الحق الآتي: «لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ»[١٥٠]. وبهذا يتبين أن يوحنا ذكر أن المسيح عليه السلام أخبر تلاميذه بأوصاف البارقليط، فهو شاهد تضاف شهادته إلى شهادة التلاميذ في المسيح: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ

١٤٧- يوحنا. ١٦/٧.

١٤٨- التكوين. ١/٢.

١٤٩- إشعياء. ٦٣/١١.

١٥٠- يوحنا: ١٦/١٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ»[١٥١]. وإذا كان الأمر كذلك، فأين شهد البارقليط؟ وبم شهد؟

لقد شهد البارقليط للمسيح بالنبوة، وبالبراءة من الكفر، وادعاء الألوهية والنبوة لله، كما شهد ببراءة أمه مما رماها به اليهود، قال تعالى:﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[١٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾[١٥٣]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[١٥٤].

ويؤكد هذا ما أخبر به المسيح عليه السلام عن تمجيد النبي الآتي له، كما في يوحنا: «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ»[١٥٥]. ولم يمجد المسيح عليه السلام أحد ظهر بعده، كما مجده نبي الإسلام محمد ﷺ فقد أثنى عليه، وبيّن فضله على سائر العالمين، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ

١٥١- يوحنا: ١٥/٢٦-٢٧.

١٥٢- سورة المائدة ٥. الآية ٧٥.

١٥٣- سورة النساء ٤. الآية ١٥٦.

١٥٤- سورة المائدة ٥. الآية ١٧.

١٥٥- يوحنا: ١٦/١٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[١٥٦]. يحدث هذا في القرآن، في حين أنه لم يَنْقُلْ لنا أيٌّ من أسفار العهد الجديد أن روح القدس أثنى على المسيح، أو مَجَّدَهُ يوم الخمسين، حين نزل على شكل ألسنة نارية.

ومن البشارات بالنبي محمد ﷺ أن البارقليط له مهمات لم يقم بها الروح القدس يوم الخمسين فهو: «مَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ»[١٥٧] ولم يُوبِّخ الروح القدس أحداً يوم الخمسين، بل هذا هو صنيع رسول الله ﷺ مع البشرية الكافرة.

ويرى عبد الأحد داود[١٥٨] أن التوبيخ على البر قد فسره المسيح بقوله: «وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي»[١٥٩]، ومعناه أنه سيوبخ القائلين بِصَلْبِهِ، المنكرين لنجاته من كيد أعدائه، وقد أخبرهم أنه سيطلبونه ولن يجدوه؛ لأنه سيصعد إلى السماء: «يَا أَوْلاَدِي، أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلاً بَعْدُ. سَتَطْلُبُونَنِي وَكَمَا قُلْتُ لِلْيَهُودِ: حَيْثُ أَذْهَبُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا أَقُولُ لَكُمْ أَنْتُمُ الآنَ»[١٦٠]. وهو ما يتفق ما ورد في القرآن من أن عيسى عليه السلام لم يقتل، ولم يصلب، بل رفعه الله إليه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ

١٥٦- سورة المائدة ٥. الآية ١١٠.

١٥٧- يوحنا ٨/١٦.

١٥٨- عبدالأحد داوود ولد (١٨٦٧م- ١٩٤٠م) في أرومية في إيران، أسمه السابق دِيفِيد بِنْيَامِينْ كِلْدَانِي، كان أستاذاً في علم اللاهوت، وقسيس لطائفة الكلدان الكاثوليك، اعتنق الإسلام في أسطنبول. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

١٥٩- يوحنا ١٠/١٦.

١٦٠- يوحنا٣٣/١٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾[١٦١].

ومن البشارات بالنبي الآتي أنه سيوبخ الشيطان ويدينه بما يبثه من هدي ووحي: «وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ»[١٦٢]. وصفة التوبيخ لا تناسب من سُمِّيَ بِالْمُعَزِّي، الذي قيل إنه جاء إلى التلاميذ؛ ليعزيَهم بفقد سيدهم ونبيهم. ذلك أن العزاء إنما يكون في المصائب، والمسيح عليه السلام كان يبشرهم بذهابه، ومجيء الآتي بعده، كما أن العزاء إنما يكون عند حدوث مصيبة، أو بعدها بقليل، وليس بعد عشرة أيام (موعد نزول الروح القدس على التلاميذ).

ثم لماذا لم يُقدِّم الْمُعَزِّي القادم العزاء لأم المسيح، فقد كانت أولى به؟. وهنا يجيب النصارى بأنه لم يقدم العزاء؛ لأن النصارى لا يعتبرون قتل المسيح على الصليب مصيبة تستوجب العزاء؟ إذ برأيهم هو سبب الخلاص والسعادة الأبدية للبشرية؛ فوقوعه فرحة ما بعدها فرحة، وإصرار النصارى على أن التلاميذ احتاجوا لعزاء الروح القدس يبطل عقيدة الفداء والخلاص.

وهكذا، يَثْبُتُ من خلال استعراض ما سبق أن روح القدس ليس هو البارقليط فكل صفات البارقليط صفات لنبي يأتي بعد عيسى عليه السلام ويؤكد عيسى عليه السلام على صدقه

١٦١- سورة النساء ٤. الآيتان ١٥٧- ١٥٨.

١٦٢- يوحنا: ١١/١٦. وعبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس. مصدر سبق ذكره، ص٢١٦. وبوكاي، موريس " الطبيب والكاتب الفرنسي"(ت١٩٩٨م). ١٩٩٠م- ١٤١١هـ. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ترجمة: حسن خالد. المكتب الإسلامي. ط٣. ص١٣١-١٣٢. و أحمد السقا. البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل. مصدر سبق ذكره. ج٢. ص٢٧٢-٢٧٤-٢٨٠ .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وضرورة الإيمان به فيقول: «عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ»[١٦٣] ويقول: « لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ»[١٦٤]، وكذا الذي بَشَّرَ به موسى عليه السلام: «أَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ»[١٦٥]، وهو وصف النبي ﷺ كما في القرآن، قال الله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[١٦٦].

ويمكن القول بأن كل ما ذكر عن البارقليط له شواهد في القرآن والسنة تقول بأن الرسول محمد ﷺ هو صاحب هذه النبوءة، إذ هو الشاهد للمسيح، وهو الذي يبرئه ويمجده، وهو المخبر بالغيوب الذي لا نبي بعده، وقد ارتضى الله دينه إلى قيام الساعة ديناً.

المطلب الثاني: محمد ﷺ (المحمود) روح الحق[١٦٧]:

يُبَشِّر الإنجيل بنبي الإسلام محمد ﷺ ببشارات لا غبار عليها، منها البشارة بِمُعَزِّي آخَرَ يمكث معكم إلى الأبد، وقد طلب من النصارى اتباع المبشر به عند ظهوره؛ لمعرفتهم إياه من خلال أوصافه كما في يوحنا: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ؛ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ

١٦٣- يوحنا: ٢٩/٦.

١٦٤- يوحنا: ١٣/١٦.

١٦٥- سفر التثنية. ١٨/١٨.

١٦٦- سورة النجم ٥٣. الآيات ٣-٥.

١٦٧- علي، محمد عبد العظيم. سر إسلام رواد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء مع بشارات بنبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل. مصر: دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة. ص٢٣٧-٢٤٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ»[١٦٨]. وهذه بعض البشارات الواردة في الإنجيل يتحدث بها المسيح عليه السلام إلى حواريه عن أوصاف النبي الموعود، وضرورة الإيمان به، كما يحدثهم عن مصير عيسى عليه السلام نفسه وذهابه إلى ربه بقوله: «وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. «سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ. سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. لاَ أَتَكَلَّمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا، لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ»[١٦٩]. وفيه أيضاً: «مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ»[١٧٠].

فهذه النصوص تبين أن النصارى ينتظرون رجلا بعد عيسى عليه السلام لا كما يقول بعضهم إن الْمُعَزِّيَ هو عيسى عليه السلام إذ سيعود، وذلك لأنها نصت على أنه آخر -أي ليس أنا-. وقد ذكر يوحنا أنه ليس المسيح، ولا إيليا، ولا النبي المنتظر؛ فهم يرتقبون نبياً منتظراً

١٦٨- يوحنا: ١٤/١٥-١٩.

١٦٩- يوحنا: ١٥/٢٦-٣٠.

١٧٠- يوحنا: ١٦/١٣-١٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

غير عيسى عليه السلام، ومن هنا يجب أن يكون نبيا آخر؛ كي يُثْبِتَ حقَّ عيسى عليه السلام في المسيحية، وحتى يَشهد له ويمجده كما سيأتي.

ولذلك قال عيسى عليه السلام في النص السابق: «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي؛ لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» وكذلك قوله: «فَهُوَ يَشْهَدُ لِي». فهما دليلان على أن النبي القادم يتكلم عن عيسى عليه السلام ويشهد له ويمجده.

وهذا الكلام ثابت في حق النبي محمد ﷺ ذلك أنه يشهد للمسيح بالنبوة، ويُبرئه من زعم الألوهية، ويشهد له بأنه لم يصلب، ولم يقتل، بل رفعه إليه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾[١٧١].

ومن صفات هذا النبي الآخر أنه مسمى بالْمُعَزِّي. وفي التراجم القديمة (الفارقليط)[١٧٢] و(البارقليط)[١٧٣]، وترجموها بالإنجليزية (Comforter) أي الشفيع؛ ولكي يُعرف معنى الكلمة لابد من النظر إلى الأصل. فالكلمة في أصلها اليوناني (Paraclete) الفرقان الحق من الكلمتين العبريتين (Farcat) و (lete)، أي المحمود. وترجموها بالإنجليزية

١٧١- سورة النساء ٤. الآيتان ١٥٧-١٥٨.

١٧٢- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. ص٥٩.

١٧٣- أدون جونس. نشأة الديانة المسيحية. نقلاً عن كتاب سر إسلام رواد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء مع بشارات بنبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل. مصدر سبق ذكره. ص٢٣٨

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

(The Praised One) وهي ترجمة صحيحة، ومعناها الشخص المحمود[١٧٤]. وأحمد، أو محمد أبلغ في التعبير من المحمود؛ إذ فيه صيغة المبالغة في الحمد، كما أن اسم أحمد، أو محمد لم يستخدما قط قبل قدوم نبي الإسلام محمد ﷺ حتى إن الباحث في أصل الكلمة لا يستطيع أن ينكر علاقتها مع لفظ أحمد ومحمد، وهذا الذي دعا علماء النصارى للخروج بكلمة أخرى، بل زعم أحدهم أن (الفارقليط) كلمة أدخلها المسلمون في الإنجيل، لكن المسيحيين لا يمكنهم أن ينكروا أن لفظة (فيراقليطوس) أو (فارقليط) معناها: محمد صراحة، وقال مسيو مارسيه: «إن محمداً هو مؤسس الدين الإسلامي» واسم محمد جاء من مادة (حمد) ومن غريب الاتفاق أن نصارى العرب كانوا يستعملون اسماً من المادة نفسها يَقرَبُ في المعنى من محمد، وهو (أحمد) لتسميته الفارقليط به، وهذا ما دعا علماء الدين الإسلامي إلى أن يثبتوا أن كتاب المسيحيين قد بشر بمجيء النبي محمد ﷺ وقد أشار القرآن نفسه إلى هذا بقوله عن المسيح: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[١٧٥]. وقد قال اسبرانجيه: "إن هذه الآية تشير إشارة خاصة إلى عبارة إنجيل يوحنا؛ حيث وعد المسيح تلامذته ببعثة صاحب هذا الاسم"[١٧٦].

وعلى كل حال، وأيًّا كان معنى هذه الكلمة وأصلها، فمعنى كل منهما ينطبق على محمد ﷺ فهو مُعَزٍّ للمؤمنين على عدم إيمان الكافرين، بإيضاح أن هذه هي إرادة الله

١٧٤- النسخة المنقحة الجديدة. نقلاً عن كتاب سر الإسلام رواد الفكر الحر في أوروبا. ص٢٣٨.

١٧٥- سورة الصف ٦١. الآية ٦.

١٧٦- القاسمي، محمد جمال الدين (ت١٩١٤م). ١٩٥٧م. محاسن التأويل. تح: محمد فؤاد عبدالباقي. القاهرة: دار عيسى البابي الحلبي. ط١. ج١٦. ص٥٧٨٨-٥٧٩٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وأن العبارات التي في إنجيل يوحنا لا تنطبق إلا على محمد ﷺ ذلك أنه النبي الذي كان يُحاج الكفار والمشركين وغيرهم فيما يخص صفات المسيح عليه السلام وغيرها من قضايا التوحيد والعبادة والمعاملات.

فإخبار عيسى عليه السلام بأن الله يرسل مُعَزِّيًا آخَرَ يمكث إلى الأبد: «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ؛ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ»[١٧٧] دليل على أن النبي محمدا ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين، كما هو الثابت عند المسلمين؛ فهو الخاتم الذي لا نبي بعده ويمكث معنا إلى الأبد بهديه ومنهجه لا ذاته. أما قوله بأن الْمُعَزِّي الذي يرسله الله: «يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ»[١٧٨] فدليل على ما أوضحناه من أن رسالته خاتمة، ويخبر عن كل شيء؛ إذ لا نبي بعده. ويتفق هذا ما ورد على لسان النبي محمد ﷺ فقد ورد في الحديث الصحيح قوله: "تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ"[١٧٩]. وقوله: "تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِيَ أَبَداً: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ"[١٨٠].

١٧٧- يوحنا ١٤/١٦.

١٧٨- يوحنا ١٤/٢٦.

١٧٩- أخرجه ابن حنبل. المسند. مصدر سبق ذكره. ج٣٨. ح ١٧١٤٢. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ). السنن. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني. بيروت: دار الفكر. ج١. ح١٦. ح٤٣. قال الألباني حديث صحيح.

١٨٠- أخرجه مالك، أنس الأصبحي. الموطأ. تح: محمد فؤاد الباقي. مصر: دار إحياء التراث العربي. ج٢. ح١٥٩٤. قال الألباني حديث صحيح.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وهو يتناسب مع قول عيسى ﷺ في الإنجيل: «مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ»[١٨١]. وقوله «لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ»[١٨٢]. وهو ما يناسب قوله تعالى في القرآن: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١٨٣] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[١٨٤] وهو الذي يُذَكِّرُ بكل ما أخبر به عيسى ﷺ.

- وقول الإنجيل: «رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ،»[١٨٥]. وصف للنبي محمد ﷺ فهو روح الحق، الذي سطع نوره في الدنيا لكافة البشرية، وذكره للروح القدس في هذا الموضع يقصد به ما ينزل به روح القدس (جبريل) ﷺ من الوحي على محمد ﷺ الأمر الذي يعني أنه لا حجة للنصارى في عدم إتباع نبي الإسلام؛ فهم يعرفون أوصافه من خلال كتبهم كما جاء في يوحنا: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ»[١٨٦]. وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٨٧].

١٨١- يوحنا. ١٣/١٦.

١٨٢- يوحنا. ١٣/١٦.

١٨٣- سورة النجم ٥٣. الآية ٣-٤.

١٨٤- سورة المائدة ٥. الآية ٦٧.

١٨٥- يوحنا. ١٣/١٦.

١٨٦- يوحنا. ١٧/١٤.

١٨٧- سورة البقرة ٢. الآية ١٤٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الثالث: عيسى عليه السلام لم يَدَّعِ أنه المسيحُ المنتظرُ:

ادعى كثير من معاصري عيسى عليه السلام أنه المسيح المنتظر، بل ادعوا أنه: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. بل إنه: إيليَّا. فهل ادعى عيسى عليه السلام نفسه أنه المسيح المنتظر، وهل حقق نبوءات المسيح المنتظر؟. ويمكن الإجابة على ذلك من خلال ما ورد في إنجيل مرقص: «وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلاَمِيذَهُ قَائِلاً لَهُمْ: مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابُوا: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ. فَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ عَنْهُ. وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ»[١٨٨].

وفي رواية لوقا تأكيد ذلك المعنى: «وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ. فَسَأَلَهُمْ قَائِلاً: مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ أَنِّي أَنَا؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ. فَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ أَنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ: مَسِيحُ اللهِ. فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذلِكَ لأَحَدٍ، قَائِلاً: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيرًا وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ»[١٨٩].

١٨٨- مرقص. ٨/٢٩-٣١.

١٨٩- لوقا. ٩/١٨-٢٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فانتهار عيسى ﷺ لتلاميذه ونهيهم عن إطلاق لقب المسيح عليه ليس خوفاً من اليهود، بل لأن ما يقولونه ليس هو الحقيقة، وعليه فلا فائدة من إنكار حقيقته لو كان عيسى ﷺ هو المسيح المنتظر. وقد رفض بطرس كبير الحواريين الإذعان لهذه الحقيقة، وهي أن المسيح هو العبد المتألم المتعرض للقتل، وليس هو الملك الظافر المنتظَر، فاندفع يؤنب المسيح على ما يسوقه من خبر عن نفسه، بأنه سيقتل ولندع الكلام لِمَتَّى وهو ينقل لنا هذا المشهد بقوله: «ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً: «حَاشَاكَ يَارَبُّ، لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا»[١٩٠].

فما كان من المسيح ﷺ إلا أن واجهه بصرامة: «فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي؛ لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ، لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»[١٩١]. فاندهل بطرس كما أصاب الذهول سائر التلاميذ عندما سمعوا المسيح يخبرهم بأنه سَيُرْفَعُ عن الأرض التي هم عليها، فيقول: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ، قَالَ هذَا مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ»[١٩٢].

وعندئذ اندفع التلاميذ يعبرون عن استنكارهم لفكرة المسيح المتألم المقتول وتساءلوا مستنكرين: هل المسيح يتحدث عن نفسه: «فَأَجَابَهُ الْجَمْعُ: نَحْنُ سَمِعْنَا مِنَ النَّامُوسِ أَنَّ

١٩٠- لوقا. ١٦/٢١-٢٢.

١٩١- متّى. ١٦/٢٣.

١٩٢- يوحنا. ١٢/٢٣-٣٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الْمَسِيحَ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟ مَنْ هُوَ هذَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟»[١٩٣]. لقد صدمتهم الحقيقة التي صرح لهم بها المسيح؛ وهي تبشر بنبي آخر غير عيسى عليه السلام تبقى رسالته إلى الأبد وتهدم كل أوهامهم عن عيسى، في أنه المسيح المنتظر.

ويرى القس الخضري أن المسيح ليس الْمَسِيَّا[١٩٤] الظافر الذي ينتظره اليهود، لكنه الْمَسِيَّا الروحي، ثم يلفت أنظارنا «إلى حقيقة في غاية الأهمية، وهي أن يسوع كان يحاول جاهداً أن يخفي نفسه كمَسِيَّا عن الجماهير، لذلك عندما كان يلاحظ وجود بعض الثغرات التي من خلالها كان يمكن للجماهير أن تراه كمَسِيَّا؛ كان يسرع لإغلاقها»[١٩٥]. وقد حرص على نفي كونه الْمَسِيَّا مرة بعد مرة: «فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أَيْضًا إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ»[١٩٦]. والسؤال هنا لماذا هرب يسوع بنفسه وحده؟ الجواب كما يؤكده القس الخضري؛ لأن عيسى عليه السلام لا يرى في نفسه أنه الملك المنتظر وهم مصرون على تمليكه؛ لما يرونه فيه من معجزات، ولما يجدونه في أنفسهم من شوق وأمل بالخلاص من ظلم الرومان. يقول القس الخضري: «إن جماعة الْغَيُورِينَ كانت تنتظر الْمَسِيَّا السياسي، وعندما رأت يسوع الذي يعظ بملكوت الله

١٩٣- يوحنا. ٣٤/١٢.

١٩٤- سبق التعريف بهذا المصطلح في صفحة ٥ من هذا البحث.

١٩٥- الخضري، حنا جرجس. ١٩٨١م. تاريخ الفكر المسيحي: القاهرة. دار الثقافة. ج١. ص٢٧٢.

١٩٦- يوحنا. ١٤/٦-١٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

القريب؛ ظنت أنه هو فعلاً ذلك الْمَسِيَّا السياسي، ولذلك أرادت أن تختطفه وتنصبه ملكاً على حزب الغيورين لكي يكون زعيماً لهم فيجمع شملهم ويدعم صفوفهم، ولكن الْمَسِيَّا يسوع ينصرف وحده إلى الجبل؛ لأن ملكوته ليس من هذا العالم، ولا يريد هذا الملك الذي يتقاتل ويتحارب عليه الناس»[١٩٧]. وفي إنجيل يوحنا ما يؤكد هذا المعنى؛ ذلك أن المسيح عليه السلام بين لبيلاطس أن سبب إرساليته الشهادة للحق، وليس التملك على البشر: «فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: أَفَأَنْتَ إِذًا مَلِكٌ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي»[١٩٨]. وممن أدرك أن عيسى عليه السلام ليس المسيح المنتظر يهوذا الأسخريوطي[١٩٩] الذي يرى القس الخضري أن سبب خيانته للمسيح كونه من طائفة الغيورين التي تحلم بمجيء الْمَسِيَّا القادم الظافر فتبددت آماله وساورته شكوك في مَسِيَّانِيَّةِ المسيح «بعد أن سمع في كفر ناحوم عظة السيد عن خبز الحياة الذي سيكون طعاماً للآخرين، فكيف يمكن أن يكون الْمَسِيَّا ذبيحة ونحن نريد مَسِيَّا عسكرياً قوياً يحرر من العدو؟ ولقد ازدادت شكوكه في مَسِيَّانِيَّةِ يسوع عندما سمعه يأمر بطرس بدفع الجزية للمستعمر»[٢٠٠].

١٩٧- الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. مرجع سبق ذكره. ج١. ص٢٣٨.

١٩٨- يوحنا. ١٨/٣٧.

١٩٩- يهوذا الإسخريوطي Judas Iscariot: أحد تلاميذ المسيح الإثنى عشر، ويسمى أيضا بيهوذا سمعان الإسخريوطي، ويهوذا معناه بالعبرية "الحمد" ومن لقبه يستدل بأنه من مدينة تسمى كريوت تقع جنوب مملكة يهوذا، والمقطع الأول من لقبه "إسخريوطي" يعني بالعبرية رجل فيكون "الكريوتي" نسبة إلى كريوت. قاموس الكتاب المقدس. مرجع سبق ذكره ص١٠٨٩- ١٠٩٠.

٢٠٠- جرجس الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. مرجع سبق ذكره. ٢٣٦/١. وقاموس الكتاب المقدس. ص١٠٩٠. ومتى.٢٤/١٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويمكن القول بأن ثَمَّةَ آخرين أدركوا أن عيسى عليه السلام ليس المسيح المنتظر مستدلين بمعرفتهم بأصل المسيح عيسى عليه السلام ونسبه وقومه، بينما المسيح المنتظر القادم غريب لا يعرفه اليهود: «فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ أُورُشَلِيمَ: أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ؟ وَهَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جِهَارًا، وَلاَ يَقُولُونَ لَهُ شَيْئًا. أَلَعَلَّ الرُّؤَسَاءَ عَرَفُوا يَقِينًا أَنَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ حَقًّا؟ وَلكِنَّ هذَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَمَتَى جَاءَ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ هُوَ»[٢٠١]. وهذا أكبر دليل على أن المسيح القادم غريب عن بني إسرائيل، الأمر الذي يعني أن في هذا النص بشارة ببني الإسلام محمد ﷺ.

وقد أكد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام صدق العلامة التي ذكروها للمسيح الغائب فقال في السياق نفسه: «فَنَادَى يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ قَائِلاً: تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي. فَطَلَبُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلَمْ يُلْقِ أَحَدٌ يَدًا عَلَيْهِ؛ لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ. فَآمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ، وَقَالُوا: أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هذِهِ الَّتِي عَمِلَهَا هذَا؟»[٢٠٢]. فَذَكَرَ المسيحُ عيسى بنُ مريم عليه السلام أنه رسول من عند الله وأنه ليس الذي ينتظرونه، أما الذي ينتظرونه فذاك لا يعرفونه، وقد آمن به الذين كلمهم وفُهِمَ من المؤمنين به أنه ليس المسيح المنتظر، وهذا ما فُهِمَ من قول يوحنا: «فَآمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ، وَقَالُوا: أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هذِهِ الَّتِي عَمِلَهَا

٢٠١- يوحنا. ٧/٢٥-٢٧.

٢٠٢-يوحنا. ٧/ ٢٥-٣١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

هذَا؟» وقولهم بأن المسيح عليه السلام متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا المسيح الموجود معهم دليل على البشارة بنبي آخر، ومن يكون هذا النبي سوى نبي الإسلام ﷺ.

ويتأكد هذا المعنى من خلال ما شهد به عيسى نفسه عليه السلام على أن المسيح المنتظر وَالْمَلِكُ القادم ليس من ذرية داود: «وَفِيمَا كَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ابْنُ دَاوُدَ. قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا؟ قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً»[٢٠٣].

فالمسيح عليه السلام يشهد من خلال النص السابق بصراحة أنه ليس المسيح المنتظر الذي يخضع له أعداؤه حتى يكونوا تحت قدميه، ذلك أن النبي الآتي يسحق ملوك وشعوب زمانه كما أخبر يعقوب: «لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ»[٢٠٤] فكل ما في هذه النصوص بشارات بالنبي الخاتم محمد ﷺ.

ويؤكد هذا المعنى ما بشر به عنه داود عليه السلام بقوله: «تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. اركَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ. نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ كُرْسِيُّكَ يَا

٢٠٣- متى. ٢٢/٤١-٤٦.

٢٠٤- التكوين. ٤٩/١٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»[٢٠٥]. فالمسيح عيسى عليه السلام لم تُذَلَّ له شعوب الأرض، ولم تخضع لسلطانه، بل كان يدفع الجزية للرومان كما في إنجيل متى: «وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفْرَ نَاحُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّرْهَمَيْنِ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالُوا: أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمُ الدِّرْهَمَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى. فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: مِنَ الأَجَانِبِ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: فَإِذًا الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. وَلكِنْ لِئَلاَّ نُعْثِرَهُمُ، اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَارًا، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ»[٢٠٦]. فأين حال عيسى بن مريم عليه السلام الذي كان يدفع الجزية للرومان من المسيح المنتظر المبشَّرِ به الملك القوي، الذي تسقط تحت قدميه شعوب الأرض، خاضعة ذليلة لسلطانه. ذلك لم يتحقق إلا لنبي الإسلام محمد ﷺ. الأمر الذي يعني أن النص بشارة بمحمد ﷺ.

ومما يؤكد هذا المعنى رفض عيسى عليه السلام أن يكون قاضياً بين اثنين يختصمان، فضلا عن أن يَدَّعِيَ الْمُلْكَ والسلطان: «وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: يَا مُعَلِّمُ قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ. فَقَالَ لَهُ: يَا إِنْسَانُ مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟»[٢٠٧].

٢٠٥- المزمور. ٤٥/٣-٦.

٢٠٦- متّى. ١٧/٢٤-٢٧.

٢٠٧- لوقا. ١٢/١٣-١٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وهكذا، يمكن القول بأنه من خلال ما تقدم يظهر جلياً أن المسيح عليه السلام لم يدع أنه المسيح الذي تنتظره اليهود، وإن زعم ذلك بعض معاصريه، الذين كانوا يَتُوقُونَ للمخلص العظيم الذي يسلطه الله على أعدائه، هذه هي خلاصة القول، كما يوافقنا عليها شارل جنيبر الذي يقول: «والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي: أن المسيح لم يدع قط أنه المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله»[٢٠٨].

وفي هذا السياق يقول الفيلسوف تولتسوي أن محمد لم يقل عن نفسه أنه نبي الله الوحيد بل اعتقد أيضا بنوة موسى والمسيح، وأن اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتمموا وصايا أنبيائهم[٢٠٩].

المطلب الرابع: البشارة بِمُشْتَهَى الأمم (مَحْمَادْ) ﷺ:

لقد ساق النبي حَجَّيْ -وهو من أواخر أنبياء بني إسرائيل- بشارة من عند الله بنبي الإسلام محمد ﷺ قال فيها: «لاَ تَخَافُوا؛ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هِيَ مَرَّةٌ، بَعْدَ قَلِيلٍ فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ، وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ فَأَمْلأُ هذَا الْبَيْتَ مَجْدًا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُ هذَا الْبَيْتِ الأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الأَوَّلِ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي

٢٠٨- جنيبير، شارل. المسيحية نشأتها وتطورها. ترجمة: دكتور عبد الحليم محمود. بيروت: المكتبة العصرية. ص٥٠. وحنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. مصدر سبق ذكره. ج١. ص٢٨٠ - ٢٨٢.

٢٠٩- الكونت ليف نيكولايفيتش تولستوي (ت ١٩١٠م). ١٩٨٧م. حِكَمُ النبي محمد وشئ عن الإسلام. ترجمة: سليم قيعين. القاهرة. مصرية للنشر والتوزيع. ط٣. ص٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

السَّلاَمَ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ»[٢١٠]. وهذه النبوءة لا شك أنها تتحدث عن النبي القادم الذي وعد الله به إبراهيم، وبشر به يعقوب، وموسى، ثم داود ﷺ. وفي النص بشارة بأن هذا البيت، وهو: المسجد الأقصى، قد ملأه الله تعالى بالمجد، وذلك بصلاة محمد ﷺ فيه إماماً بالأنبياء ﷺ ليلة الإسراء، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[٢١١].

وقبل أن نغوص في تحديد شخصية هذا الْمُشْتَهَى من كل الأمم نتوقف مع القس عبد الأحد داود، الخبير في اللغات، الذي يسوق لنا النص بالعبرية: «لسوف أزلزل كل الأرض وسوف يأتي (مِحْمَادْ) لكل الأمم... وفي هذا المكان أعطي السلام فقد جاء في العبرية لفظة (مِحْمَادْ) أو (حَمْدَتْ) كما في قراءة أخرى حديثة، ولفظة (مِحْمَادْ) في العبرية تستعمل عادة لتعني: (الأُمْنِيَةُ الْكَبِيرَةُ) أو (الْمُشْتَهَى) والنص حسب الترجمة العبرية المتداولة: (فباؤا حمدات كول هاجويم)»[٢١٢].

ويرى عبد الرحمن السحيم أن كلمة: (حمدا) تقرأ بالعبرية الأصلية هكذا: (في يافوا حمداث كول هاجوييم) وتعني حرفياً: (وسوف يأتي حمداً لكل الأمم)، وعليه فإن كلمة: (أحمد) هي الصيغة العربية لكلمة: (حمدا) العبرية، وقد جاء في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى

٢١٠- حجي ٢/٥-٩.

٢١١- سورة الإسراء ١٧. الآية ١.

٢١٢- شارل جنيبير. المسيحية. نشأتها وتطورها. ص٥٠. وحنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. مصدر سبق ذكره. ج١. ص٢٨٠، ٢٨٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[٢١٣].

أما كلمة: (شالوم) و(شلاما) بالعبرية، و(سلام)، السريانية و(إسلام) بالعربية فكلها من الجذر السامي نفسه "شلام" وتحمل المعنى نفسه، وهو السلام والإذعان أو الاستسلام[٢١٤]. ويرى القس عبد الأحد داود أنه لو أبقينا الاسم على حاله دون ترجمة كما ينبغي أن يكون في الأسماء، فإنا واجدون لفظة (مِحْمَادْ) هي الصيغة العبرية لاسم أحمد، والذي أضاعها المترجمون عندما ترجموا الأسماء أيضاً.

ثم يعلق على ما جاء في تمام النبوءة من الحديث عن البيت الأخير لله، الذي هو أعظم مجداً من البيت الأول: «وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ» وقد استخدمت الترجمة العبرية لفظة (شالوم) التي من الممكن أن تعني الإسلام، فالسلام والإسلام مشتقان من لفظة واحدة، ومثل هذا في القرآن في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾[٢١٥]. [٢١٦]. ويرى القرطبي أن السِّلْمَ هنا بمعنى الإسلام؛ أي ادخلوا في دين الإسلام الذي هدى الله به المسلمين[٢١٧].

٢١٣- سورة الصف ٦١. الآية ٦.

٢١٤- السحيم. عبدالرحمن بن عبدالله. أعظم إنسان في الكتب السماوية. " العهد القديم" صيد الفوائد http://www.saaid.net/mohamed/a.htm

٢١٥- عبد الأحد داود. محمد في الكتاب المقدس. مصدر سبق ذكره. ص١٤٧-١٦٥.

٢١٦- سورة البقرة ٢. الآية ٢٠٨.

٢١٧- القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ). ٢٠٠٣م. الجامع لأحكام القرآن. الرياض: دار عالم الكتب. ٢٢/٣. وابن عاشور. التحرير والتنوير. مصدر سبق ذكره. ٢٩٩/٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يقول المؤرخ ول ديورانت: «ولفظ محمد مشتق من الحمد، وهو مبالغة فيه، كأنه حمد مرة بعد مرة، ويمكن أن تنطبق عليه بعض فقرات في التوراة تبشر به»[٢١٨]. ويعلق القس عبد الأحد داود على قوله: «وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ» فيرى أنه قد يتحدث عن عقد الأمان الذي عم تلك الأرض والذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل القدس عندما فتحها، فتكون النبوءة عن إعطاء السلام، ولم تنسبه إلى المشتَهَى؛ ذلك أن الأمر تم بعد وفاته في أتباعه وأصحابه الكرام.

ولا ريب أن النبوءة لا تتحدث عن المسيح؛ إذ لا تقارب بين ألفاظ النبوءة واسمه أو بين معانيه وما عُهِدَ عنه؛ فالأمن لم يستتب في القدس حال بعثته، بل بَشَّرَ اليهودَ بخراب هيكلهم بعد حين، كما كان عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل فحسب، وليس لكل الأمم، والقادم هو مُشتَهَى الأمم جميعاً وليس خاصاً ببيت يعقوب كما جاء في وصف المسيح عليه السلام مراراً.

ثم يضيف القس عبد الأحد داود فيرى أن هذا الاستعمال لكلمة السلام بمعنى الإسلام لازم في موضع آخر من الكتاب المقدس؛ فقد جاء في إنجيل لوقا أن الملائكة ترنموا عند ميلاد المسيح عليه السلام قائلين: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»[٢١٩]. ويتساءل القس عبد الأحد داود: أي سلام حلَّ على الأرض بعد ميلاد المسيح؟ فقد تتابع القتل، والحروب ما تزال تطحن البشر والنسل إلى قيام الساعة، ولذلك

٢١٨- ديورانت، ول وايريل. ١٩٩٨م. قصة الحضارة. ترجمة: محمد بدران. بيروت: دار الجيل. ٢١/١٣.

٢١٩- لوقا. ١٤/٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فإن الترجمة الصحيحة لكلمة (إيرينا) اليونانية في العبرية: (شالوم)، وهي في العربية (الإسلام) كما (السلام).

وإن أصر النصارى على تفسير كلمة "إيرينا" بالسلام، فقد جعلوا من عيسى عليه السلام مناقضاً لنفسه، إذ يقول: «جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا»[٢٢٠]. وفي متى: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا»[٢٢١]. وتبعاً لهذا يرى عبد الأحد داود أن صانعي السلام هم المسلمون، وذلك في قول المسيح عليه السلام: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ؛ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ»[٢٢٢] فيرى أن الترجمة الدقيقة هي: «طُوبَى لِلْمُسْلِمِينَ» وليس صانعي السلام الخيالي، الذي لم ولن يوجد على الأرض. كما لا يستطيع أحد ينتمي إلى فرق النصارى المختلفة والمتباغضة أن يقول بأن السلام قد تحقق في نفوس المؤمنين؛ إذ الأحقاد المتطاولة بينهم تكذب ذلك كله.

وجاء في تمام الأنشودة المزعومة للملائكة: «وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» واستخدم النص اليوناني كلمة "يودكيا" وهي كلمة مشتقة من الفعل اليوناني "دوكيو"، ومعناها كما في

٢٢٠- لوقا. ١٢/٤٩-٥١.

٢٢١- متى. ١٠/٣٤-٣٥.

٢٢٢- متى. ٥/٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

القاموس الإغريقي: "لطيف محسن دمث..." ومن معانيها أيضاً السرور –المحبة –الرضا– الرغبة الشهرة... فكل هذه الإطلاقات تصح في ترجمة كلمة: يودوكيا، التي يصح أيضاً أن تترجم في العبرية إلى (مِحْمَادْ، مَا حَامُودْ) المشتقة من الفعل (حمد) ومعناه: المرغوب فيه جداً، أو البهيج، أو الرائع أو المحبوب أو اللطيف، وهذا كله يتفق مع المعاني التي تفيدها كلمة محمد وأحمد، اللتان تقاربان في الاشتقاق كلمتي (حمدا ومِحْمَادْ) العبريتين، ومثل هذا التقارب يدل على أن لهما أساساً واحدا مشتركا كما هو الحال في كثير من كلمات اللغات السامية.

وينبه القس عبد الأحد داود على وجود هذا النص في إنجيل لوقا اليوناني، في الوقت الذي كانت فيه العبارات سريانية حين مقالها، ولا يمكن أن تترجم كلمة ما من لغة إلى أخرى، وتفيد المعاني الأصلية نفسها للكلمة، وبخاصة أنه مع ضياع الأصول لا يمكن التحقق من دقة هذه الترجمة. والترجمة الصحيحة للترنيمة كما يرى عبد الأحد داود هي: «الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد»[٢٢٣].

المطلب الخامس: البشارة بإيليَا:

من الأسماء التي رمز الكتاب المقدس بها إلى نبي الإسلام محمد ﷺ إيليا، وهي وفق حساب الجُمَلِ اليهودية تساوي (٥٣)[٢٢٤]. وهو أيضاً اسم لنبي عظيم أرسله الله إلى بني

٢٢٣- عبد الأحد داود. محمد في الكتاب المقدس. مرجع سبق ذكره. ص١٤٧–١٦٥. وداود، عبد الأحد. ١٣٥١هـ. الإنجيل والصليب. القاهرة. ص٣٣–٥٥. وأحمد السقا. البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل. مصدر سبق ذكره ٢/٣٧٠–٣٧٢.

(٢٢٤) (أ=١، ي=١٠، ل=٣٠)، وهو ما تساويه كلمة أحمد (أ=١، ح=٨، م=٤٠، د=٤).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

إسرائيل، وكان ذلك في القرن التاسع قبل الميلاد، وهو الذي يسميه القرآن إلياس. وقد تحدث النبي مَلَاخِي في سِفْرِهِ عن عصيان بني إسرائيل، وعن إيليَا، القادم الجديد، وهو غير إلياس الذي كان توفي منذ سبعة قرون؛ يقول مَلَاخِي قال الله: «هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ؟ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ، وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ»[٢٢٥]. ويقول مَلَاخِي في آخر سِفْرِهِ عن هذا القادم، وعن تبديل بني إسرائيل وكفرهم قال الله: «اُذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ. هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ»[٢٢٦].

ويرى النصارى أن النبي الذي يمهد الطريق هو يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، يقول مرقص: «هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي، الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ. وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا. وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ

٢٢٥- ملاخي. ٣/١-٢.

٢٢٦- ملاخي. ٤/٤-٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأُرْدُنِّ»[٢٢٧].

وهو ما نقله لوقا عن لسان المسيح عليه السلام بقوله: «بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ، هذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ»[٢٢٨].

والنصارى يعتبرون الأول إيليا؛ لقول متى على لسان المسيح عليه السلام في سياق حديثه عن يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ: «لكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ. فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الآنَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ؛ لأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ»[٢٢٩]. ويذكر متّى أيضاً أن المسيح عليه السلام قال: «إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَلكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذلِكَ ابْنُ

٢٢٧- مرقص.١/٢-٩.

٢٢٨- لوقا. ٧/٢٦-٢٨.

٢٢٩- متّى. ١١/٩-١٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الإِنْسَانِ أَيْضًا سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ. حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ»[٢٣٠].

غير أنه لا يُسَلَّمُ للنصارى بأن يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ كان تمهيداً للمسيح؛ إذ كيف يقال ذلك والمعمدان قبيل مقتله لا يعرف حقيقة المسيح، ويرسل تلاميذه ليسألوا المسيح: «وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟»[٢٣١]. والحق أن يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ وعيسى هما صَاحِبَا دعوة واحدة، ذلك أن كليهما بُعِثَ مُبشراً بالنبي الخاتم، فهما المبشِران بالنبي الخاتم، الذي أسماه مَتَّى بملكوت السماوات؛ فقد بَشَّرَ باقتراب عصره النبيُّ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: تُوبُوا؛ لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»[٢٣٢]. ويؤكد هذا أن بعد وفاة يوحنا المعمدان جدد يسوع البشارة بالملكوت: «ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»[٢٣٣]، «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ»[٢٣٤].

لقد كانت دعوتهما واحدة، وهي البشارة والتمهيد للنبي القادم؛ فالقادم الْمُبَشَّرُ به سَيُعَمِّدُ بالروح القدس والنار، أما المسيح فلم يُعَمِّدْ أحداً طوال حياته، وإن كان شاع بين الناس أنه يُعَمِّدُ، لكنه لم يفعل ذلك حقيقة، وإن صنعه تلاميذه باسمه: «فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ

٢٣٠- متى. ١٧/١١-١٣.

٢٣١- متى. ١١/٣.

٢٣٢- متى. ٣/١-٢.

٢٣٣- متى. ٤/١٧.

٢٣٤- متى. ٤/٢٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصَيِّرُ وَيُعَمِّدُ تَلاَمِيذَ أَكْثَرَ مِنْ يُوحَنَّا، مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلاَمِيذُهُ»[٢٣٥]. وعليه، فالآتي الْمُبَشَّرُ به هو نبي الإسلام محمد ﷺ وهو فقط الذي أتى إلى أرض القدس والهيكل بغتة يوم أسري به إلى بيت المقدس، بينما نشأ المسيح ويوحنا في ربوع الهيكل، وهو النبي الذي سمته بعض الترجمات برسول الختان؛ إذ كان قد دعا إليه ونبه على أنه من سنن الهدى، والتزمه المسلمون بعده.

خلاصة القول: إن محمدا ﷺ قد بُشِّرَ به أهل الكتاب، وعرفوه بصفاته المذكورة في كُتبهم وصدَّقه كثير ممن حضره منهم؛ فعلى أصحاب العقول التي تَعِي أن يتأملوا في حياة ذلك النبي الخاتم الذي شهد بنبوته كل مُنصف من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام الذي كان يَهوديا فأسلَم لما رأى وجه رسول الله ﷺ فقال: "لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ، لَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ"[٢٣٦].

وقد آمن به النجاشي ملِك الحبشة، بعد أن سَمِع آياتٍ من سورة مريم-: " فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ -حِينَ سَمِعُوا

٢٣٥- يوحنا. ٤/١-٢.

٢٣٦- أخرجه ابن حنبل في مسنده. ح٢٣٨٣٥. ج٥. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مَا تَلَا عَلَيْهِمْ- ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا -وَاللَّهِ- وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ "[٢٣٧].

وشهد كذلك بصدق نبوته هرقل -عظيم الرُّوم ورئيس النصارى في زمانه- فإنه لما جاءه كتاب نبينا محمد ﷺ لم يَقُل: هذا غير صادق، وإنما قال لأبي سفيان -وكان أبو سفيان آنذاك مُشركاً-: "فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ -لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ- فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ"[٢٣٨].

٢٣٧- أخرجه ابن حنبل في مسنده. ح١٧٤٠. ج١. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

٢٣٨- أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ). ١٩٨٧م. في صحيحه. القاهرة: دار الشعب. ط١.كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله. ح٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA